



الفصل الخامس  
التأثير والتأثر في الحياة  
الثقافية في إقليم الصغد



## الفصل الخامس

# التأثير والتأثر في الحياة الثقافية في إقليم الصغد التأثيرات العلمية

### أولاً: تأثير إقليم الصغد كمركز ثقافي

اهتم أهل مدن الصغد بالعلم والتعلم، فهم أهل حضارة عريقة ورثوا الحضارة الفارسية وتأثروا بالحضارة الصينية<sup>(١)</sup> فقد اشتهروا بميلهم إلى العلم وتشجيعه وشغفهم الدائم بالاطلاع والدراسة وحبهم للرحلة في سبيل العلم، حتى صار الإقليم قبلة يؤمها العلماء ويقصدها الأدباء من شتى البقاع.

كانت سمرقند عاصمة الصغد ذات أهمية عظمى إذ كانت مركزاً إسلامياً وعلمياً قامت بتأدية رسالة الإسلام وخدمته على أحسن وجه، وكان لعلمائها أفضل نصيب في نشر العلوم الإسلامية في ربوع الأرض، ويكفي لفخرها وفضلها أنها زحرت بالكثير من العلماء الكبار<sup>(٢)</sup>. ونظراً لمكانة سمرقند العلمية فقد قصدها طلاب العلم من شتى أنحاء العالم الإسلامي للقاء مشايخها والدراسة عليهم، وحضور مجالس العلم والأدب واللغة والتاريخ في مدارسها، وكان هؤلاء الطلبة يمكثون زمناً طويلاً في سمرقند للدراسة فلا يغادرونها حتى يحصلوا على الإجازات العلمية من علمائها، التي ترفع من شأنهم في مجتمع أنظاره مشدودة إلى مهد الإسلام واللغة العربية<sup>(٣)</sup>.

قد يكون من الإسهاب أن نذكر جميع العلماء وطلبة العلم الذين قدموا مدن الصغد من أنحاء العالم الإسلامي لطلب العلم، ولكن يكتف بذكر

(١) Saunders, The History of the Mongol Conquests, p72

(٢) حسين مؤنس: المساجد، ص ٢٨٣.

(٣) جعفر ماجد: فصول في الأدب والثقافة، ص ١٣.

أشهرهم باختصار كدليل لمكانة مدن الصغد الثقافية في العالم الإسلامي، ونخص بالذكر الإمام الرحال أبو طاهر محمد بن أحمد بن علي بن حمدان الخراساني الحافظ (ت ٤٤١هـ / ١٠٤٩م) سمع بسمرقند من أبي سعد السمعاني، كما سمع بنيسابور وبالري وبمرو<sup>(١)</sup> وأبو القاسم حمد ابن علي بن محمد الطبرستاني (ت ٤٤٢هـ / ١٠٥٠م) كان من كبار المحدثين، له رحلة واسعة إلى بلدان العالم الاسلامي، سمع بسمرقند من منصور الكاغدي، كما سمع بالري و بالبصرة وبنيسابور<sup>(٢)</sup>

والإمام الحافظ الجوال أبو الوليد الحسن بن محمد بن عبد الرحمن البلخي (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م) سمع ببغداد ودمشق وبلخ ونيسابور وهرارة، وطوف البلاد وحصل الأسانيد والجرائب ومات بسمرقند<sup>(٣)</sup>. والشيخ الإمام المحدث أبو مسلم عمر بن علي بن الليث الأصبهاني المقيد، الطواف (ت ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م) كان من كبار الرحالة سمع بسمرقند وبكش وبلخ، وغزنة ومرو<sup>(٤)</sup>.

فضلا عن محمد بن محمد بن محمد أبو عبد الله، مجد الدين الختبي (ت ٥٧٦هـ / ١١٨٠م) أحد علماء الحنفية، رحل في طلب العلم إلى سمرقند وبخارى وخراسان، ثم رحل إلى البلاد الشامية والبلاد المصرية، وأقام بمصر ودرس بالمدرسة السوفية إلى أن مات بها<sup>(٥)</sup>. وأبو المظفر عبد الرحيم بن عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني (ت ٦١٧هـ / ١٢٢٠م) الفقيه الشافعي

(١) أبو عبد الله الدمشقي: طبقات علماء الحديث، ج٣، ص ٣٠٥.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٣٠، ص ٦١، ٦٢.

(٣) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٣، ص ١١٥٥. أبو عبد الله الدمشقي: طبقات علماء الحديث، ج٣، ص ٣٥٢، ٣٥٣.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص ٤٠٧.

(٥) القرشي: الجواهر المضية، ج٣، ص ٣٤٨. المقرئ: كتاب المقفى الكبير، ج٧، ص ٩١، ٩٢.

المحدث مسند خراسان، صحبه والده لسمع الحديث وطاف به بلاد خراسان وما وراء النهر وخاصة سمرقند وبخارى<sup>(١)</sup>.

أما عن أهم علماء سمرقند الذين رُحل إليهم للحصول على الإجازات العلمية على بن محمد بن إسماعيل بن علي بن أحمد بن محمد بن إسحاق الأسبجاني السمرقندي شيخ الإسلام (ت ٥٣٥هـ / ١١٤٠م) كان من كبار العلماء بسمرقند، ولم يكن أحداً ببلاد ما وراء النهر في زمانه يحفظ مذهب أبي حنيفة ويعرفه مثله، قال السمعاني: كتب لي بالإجازة بجميع مسموعاته<sup>(٢)</sup>.

وقد قصد سمرقند العديد من العلماء وطلبة العلم من شتى بلدان العالم الإسلامي للحصول على الإجازات العلمية، ويضيق بنا المقام هنا أن نذكرهم جميعاً، ولكن نقصر على ذكر أشهرهم، ومنهم على سبيل المثال الشيخ أبو الفتح أحمد بن الحسين بن عبد الرحمن العبسي (ت ٥٥٠هـ / ١١٥٥م) سكن سمرقند، وسمع أبا المعالي محمد بن محمد بن زيد الحسيني الحافظ، ولكن ضاع أصل سماعه، ووجد السمعاني له إجازة بخط أبي المعالي فقراً السمعاني عليه قريباً من عشرة كتب من تصانيف أبي المعالي<sup>(٣)</sup>. وأبو محمد سراج الدين علي بن عثمان الأوشى الفرغانى (ت ٥٧٥هـ / ١١٧٩م)، رحل في طلب العلم إلى سمرقند، فدرس بها العلوم الشرعية على إمامين جليلين

---

(١) الذهبي: العبر في خبر من غير، ج٣، ص ١٧٤. ابن العماد: شذرات الذهب، ج٥، ص ٧٦، ٧٥. عبد الصاحب عمران الدجيلي: أعلام العرب في العلوم والفنون، ص ٢٨١، ٢٨٢. ناجي معروف: عروة العلماء المنسوين إلى البلدان الأعجمية في خراسان، ج١، ص ٤٧٠.

(٢) السمعاني: التحيير في المعجم الكبير، ج١، ص ٥٧٨. القرشي: المصدر نفسه، ج٢، ص ٥٩١، ٥٩٢.

(٣) السمعاني: الأنساب، ج٤، ص ٣٥٣. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج ٢، ص ٣٦٠.

من علماء الحنفية: أحدهما العالم محمد بن عبد الحميد الأسمندى الذى سمع منه جامع الترمذى إجازة، والثانى محمد بن محمد بن زيد بن على بن موسى الشريف المرتضى أبو الحسن وأبو المعالى العلوى الحسنى، سمع منه كتاب الإقناع للمروزي<sup>(١)</sup>.

كانت بلدان العالم الإسلامى تتلقى آثار الثقافة فى مدن الصغد بوسائل وطرق كثيرة أهمها وأعظمها أثراً:

### \* الكتابيب

قصد الكتابيب عدد غير قليل من العلماء الذين قاموا بتعليم الصبيان فى مدن الصغد، ومن أشهرهم الأديب أبو الفضل محمد بن عمر بن محمد الجنبذى الذى تفقه على الإمام مسعود بن الحسين الكشانى، وكان يسكن سمرقند ويؤدب الصبيان بها، سمع منه السمعانى<sup>(٢)</sup>. والشيخ أبو الحسن على بن محمد بن عمرو المؤدب الياركشى صاحب شرح المقامات، دخل سمرقند وحدث بها، توفى فى النصف الأول من (ق٦٦هـ/١٢م)<sup>(٣)</sup>. والشيخ الفقيه الأديب الحجاج أبو الحسن على بن محمد بن أحمد السنى النسفى الكسبوى، دخل سمرقند وسمع بها الحديث، وكان مؤدب عمر النسفى، وتوفى سنة (٤٨٥هـ/١٠٩٢م)<sup>(٤)</sup>.

### \* المساجد

قامت المساجد بدور كبير فى إذكاء الحركة الثقافية، فكانت بحق قلباً نابضاً بالتيارات الفكرية التى تغذى غيرها من بلدان العالم الإسلامى بالعلماء

(١) هشام نشابه: موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، ج٢، ص ٥٦٣.

(٢) ابن الأثير: اللباب فى تهذيب الأنساب، ج١، ص ٢٩٤.

(٣) النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند، ص ٥٤٨.

(٤) النسفى: المصدر نفسه، ص ٥٧٢.

وجذبت إليها الطلاب من جميع أنحاء العالم الإسلامي، ومن اشتهر من العلماء بملازمتهم للتدريس والوعظ بالمساجد وكانت لهم حلقات علم، الشيخ الحاكم الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن الحسن الاسترأبادي كان من كبار أئمة الحديث بسمرقند، له مجلس إملاء بمسجد المنارة، توفي سنة (٤٣٢هـ / ١٠٤٠م)<sup>(١)</sup>. والشيخ أبو نصر سفيان بن عبد الله بن محمد بن أحمد السرخسي المديني كان له مجلس إملاء بمسجد المنارة، توفي سنة (٤٣٢هـ / ١٠٤٠م)<sup>(٢)</sup>. وأبو القاسم علي بن أحمد بن الحسيني بن محمد ابن الفارسي، له مجلس إملاء بمسجد المنارة، توفي سنة (٤٤٤هـ / ١٠٥٢م)<sup>(٣)</sup>. كما كان الحافظ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن ربحان الترمذي من كبار أئمة الحديث، سكن سمرقند، وعقد مجالس الإملاء في مسجد رأس سكة أبي عبد الرحمن في سكة حائط كوسكان بسمرقند، توفي سنة (٤٤٧هـ / ١٠٥٥م)<sup>(٤)</sup>. وأبو حفص عمر بن منصور بن أحمد بن محمد بن منصور ابن موسى بن أفلح بن عمران البزاز الدهقان البخاري، كان من كبار الحفاظ حدث بمسجد المنارة بصحيح البخاري وكانت له حلقة إقراء بمسجد سكة مقاتل، وحضر حلقاته أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن العباس بن إسماعيل بن أحمد المقرئ الهروي توفي الحافظ أبو حفص سنة (٤٦١هـ / ١٠٦٨م)<sup>(٥)</sup>.

### \* المدارس

ساعدت المدارس على نشر الثقافة في أرجاء العالم الإسلامي، ولعبت

- 
- (١) النسفي: المصدر نفسه، ص ٥٤٥.  
(٢) النسفي: القند في ذكر علماء سمرقند، ص ٢٣٣.  
(٣) النسفي: المصدر نفسه، ص ٥٤٧.  
(٤) النسفي: المصدر نفسه، ص ٥٤٠.  
(٥) النسفي: المصدر نفسه، ص ٤٧٩، ٣٦٧.

على اختلاف أنواعها دورا مهما في تنمية وتقدم الحركة الفكرية والعلمية في إقليم الصغد، وساهمت في إقامة الصرح العلمي الذي تميزت به الحضارة الإسلامية خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، كما أمدت أجهزة الدولة بالعناصر المتعلمة المثقفة والتي كان لانضمامها إلى جهاز الدولة آثاره البعيدة على دقة التنظيم، علاوة على ذلك فإن مدارس مدن الصغد أمدت المدارس الأخرى في أنحاء العالم الإسلامي بعناصر مؤهلة من العلماء والأساتذة الكبار. وكان أشهرهم أبو القاسم علي بن المظفر بن حمزة بن زيد الحسيني الشريف العلوي الدبوسي (٤٨٣هـ / ١٠٩٠م) (١).

وأبو الحسن علي بن موجود بن الحسن الكشاني كان إماما فاضلا، تولى التدريس بالمدرسة الخاقانية بمرو، توفى سنة (٥٥٧هـ / ١١٦١م) (٢). والشيخ حميد الدين السمرقندي كان من أشهر العلماء الذين تولوا التدريس بالمدرسة العذراوية بحارة الغرباء بدمشق (٣)، كما كان أول من درس بالمدرسة المبطورية بجبل الصالحية بدمشق (٤) وكان أيضاً أول من درس بالمدرسة الزنجارية، وظل بها إلى أن توفى سنة (٦٣٥هـ / ١٢٣٧م) (٥). وكان هؤلاء العلماء قد قاموا بدور فعال في التفاعل الثقافي بين المراكز الثقافية المختلفة التي اتجهوا إليها خلال فترة الدراسة.

والواقع أن إتاحة الفرصة للمسلمين أن يقبلوا في أي مدرسة في بلدان العالم الإسلامي كان له الأثر المحمود في توحيد الفكر الإسلامي وزيادة الترابط الإنساني مما أدى في النهاية إلى احتكاك الأفكار وانصهارها جميعا في

---

(١) عبد المجيد بدوي: التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني، ص ١٨١.

(٢) السمعاني: الأنساب، ج٥، ص ٧٤.

(٣) النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ص ٣٧٣، ٥٤٩.

(٤) النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج١، ص ٦٠٤.

(٥) النعيمي: المصدر نفسه، ج١، ص ٥٢٦، ٥٢٧.

بوتفة العلم لتبرز أفكار" مدرسة وآراء مجدية في حقول العلم والأدب، ومن ثم ربطت هذه المدارس المسلمين برباط الثقافة<sup>(١)</sup>.

### \* الربط والخانقاوات

ساهمت الربط مساهمة فعالة في ازدهار الحركة الثقافية في إقليم الصغد، حيث كانت أماكن للدراسة وبصفة خاصة فيما يتعلق بالعلوم الأساسية، كما كانت منازل للعلماء والطلاب الراحلين إلى بلاد ما وراء النهر ولاسيما سمرقند لطلب العلم أو نشره، وكان ذلك بدون شك مدعاة لاختلاط هؤلاء العلماء بعلماء الصغد فنقلوا عنهم الكثير كما كان سببا مباشرا للتواصل الفكري والتأثير الثقافي المتبادل بينهم خلال العصر السلجوقي. وعلى سبيل المثال كان أبو سهل سعيد بن عمر بن محمد بن إبراهيم بن أبي أحمد بن أحمد بن الفضل العطار الصفار المحتسب الغزنوي، قد قدم سمرقند وأملى في رباط المربع سنة (٤٢٩هـ/١٠٣٧م)<sup>(٢)</sup>. كما كان للفقير مسعود بن منصور الأوشى الفرغانى (ت ٥١٩هـ/١١٢٥م) الساكن سمرقند، مجالس إملاء في رباط حمزة<sup>(٣)</sup>.

هكذا جذبت المؤسسات التعليمية الزاهرة في مدن الصغد العلماء وطلاب العلم من جميع أنحاء العالم الإسلامى، واستطاعت أن تتخذ لنفسها موقعا حيويا فى نشر الصورة المشرقة لمدن الصغد، فكان ذلك بلا شك مدعاة لإيجاد حركة ثقافية دائبة نشيطة تتمثل فى الترابط الفكرى الذى ربط بين أبناء تلك المدن وأبناء المدن الإسلامية الأخرى .

---

(١) حسين أمين: المدارس الإسلامية فى العصر العباسى وأثرها فى تطور التعليم، المؤرخ العربى، ص ١٠.

(٢) النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند، ص ٢٠٤.

(٣) الذهبى: المشتبه فى الرجال، ج١، ص ٣٥. السمعانى: الأنساب، ج١، ص ٢٢٨، ٢٢٩.

كان تأثير النهضة الثقافية لمدينة الصغد على الأقطار الإسلامية تأثيراً عميقاً في شتى نواحي الحياة وفيما يتصل بالمعارف والعلوم والفنون ولا شك أن وحدة الثقافة الدينية كانت مظهراً بالغ الأهمية من مظاهر التأثير والتأثر بين العلماء خلال فترة البحث:

### علم القراءات:

قصد مدن الصغد العديد من العلماء لطلب علم القراءات، ونخص بالذكر أحمد بن علي بن محمد بن يحيى بن الفرغ الهاشمي البصري الهباري (ت ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م) رحل في طلب القراءات إلى العديد من البلدان الإسلامية فدخل بغداد وقرأ بها ودخل دمشق والعراق ثم جال في خراسان وبلاد ما وراء النهر ودخل بخارى وسمرقند<sup>(١)</sup>. وأبو نصر أحمد بن محمد بن المؤيد القلاص المقرئ (ت ٤٩٣هـ / ١٠٩٩م) نزىل سمرقند كان من أشهر المقرئين له مصنفات عديدة منها " تحفة الأخبار في أقسام الأخبار "، " عدة السالكين وعمدة السائرين " و " المنية في القراءات " (٢).

ومحمد بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن علي بن لقمان النسفي المقرئ (ت ٤٩٤هـ / ١١٠٠م) نزىل سمرقند، وهو والد أبي حفص عمر<sup>(٣)</sup>. كما يعد أبو الطيب طاهر بن محمد بن جعفر بن نصر بن عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عبد المنان بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد (ت ٥٠١هـ / ١١٠٧م) من القراء البارزين، سكن سمرقند، وكان ابنه محمد بن طاهر كذلك من كبار المقرئين بسمرقند<sup>(٤)</sup> والشيخ المقرئ أبو الحسن علي ابن عبد

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٣٣، ص ٣٥٢، ٣٥٣.

(٢) إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين، ج١، ص ٨١.

(٣) الذهبي: المصدر نفسه، ج٣٣، ص ١٩٦.

(٤) النسفي: القند في ذكر علماء سمرقند، ص ٢٨٧.

الرحمن بن يوسف النسفى (ت ٥١٧هـ / ١١٢٣م) نزيل سمرقند<sup>(١)</sup>. وأبو سعيد هلال بن عبد الرحمن بن شريح بن عمر بن أحمد (٥١٩هـ / ١١٢٥م) وهو من سلالة بلال ابن رباح مؤذن رسول الله طاف البلاد واستقر بسمرقند، سمع وقرأ القرآن، وكان شيخاً جهورى الصوت بالقرآن حسن النعمة بالأذان<sup>(٢)</sup>.

كما كان محمد بن عمر بن عبد العزيز أبو بكر الحنفى المقرئ البخارى (ت ٥٢٥هـ / ١١٣٠م) ويعرف بكاك، من أشهر المقرئين، سافر إلى البلاد وسمع بنيسابور وبخارى وسمرقند وهمدان وعاد إلى سمرقند فسكنها مدة ثم قدم بغداد وحج في هذه السنة وحدث بالحرمين<sup>(٣)</sup>.

### علم التفسير:

ازدانت مدن الصغد بالعديد من علماء التفسير البارزين الذين أسدوا للحضارة الإسلامية مؤلفات جليلة أدت إلى ازدهار علم التفسير في أرجاء العالم الإسلامى وآثروا المكتبة الإسلامية بمصنفاتهم. ويطالعا فى مدن الصغد عدد "عظيم" من علماء التفسير الذين أفنوا أعمارهم فيه، من أجل تطوره وازدهاره<sup>(٤)</sup>. ومنهم على بن محمد بن عبد الكريم بن موسى البزدوى (ت ٤٨٢هـ / ١٠٨٩م) نزيل سمرقند، له مصنفات كثيرة منها كتاب فى تفسير القرآن مائة وعشرون جزء كل جزء فى حجم مصحف<sup>(٥)</sup>. وأبو محمد أحمد

(١) النسفى: المصدر نفسه، ص ٥٥٤.

(٢) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج ٩، ص ٢٣٤. التفسى: المصدر نفسه، ص ١٠٨.

(٣) ابن الجوزى: المنتظم، ج ١٠، ص ٢٤. سبط بن الجوزى: مرآة الزمان، ج ٨، ص ١٣٩. الصفدى: الوافى بالوفيات، ج ٤، ص ٢٤٣.

(٤) الاسنوى: طبقات الشافعية، ج ١، ص ١٢٥. السمعانى: الأنساب، ج ١، ص ٣٥٢. عماد الدين الاصفهانى: خريدة القصر وجريدة أهل العصر فى ذكر فضلاء أهل خراسان وهراة، ص ١٠٨.

(٥) الزركشى: تشنيف الماسع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي، ج ١، ص ٢٠١. اللكنوى: القوائد البهية، ص ١٢٤.

بن يعقوب بن أحمد بن إبراهيم بن يوسف الروزباري (٥٢٦هـ/١١٣١م) سكن سمرقند، وكان إماماً مفسراً بارعاً وهو تلميذ الشيخ الهروي المفسر روى تفسيره عنه<sup>(١)</sup>.

## علم الحديث

زحرت مدن الصغد بعدد لا يحصى من رجال الحديث الذين أفنوا أعمارهم في جمعه وتصنيفه وضبطه وتنقيحه فخدموا العلم بجدهم وصبرهم على البحث. وكان المحدثون أنشط الطلاب على الرحيل في طلب العلم وأصبرهم على عنائه<sup>(٢)</sup>. ومن ثم قامت صلة وثيقة بين كبار علماء الحديث في الدولة الإسلامية بأسرها<sup>(٣)</sup>. ونخص بالذكر أحمد بن محمد بن الفضل الإمام أبو بكر الفسوي (ت ٤٧٦هـ/١٠٨٣م) كان من كبار علماء الحديث، رحل إلى العديد من البلدان الإسلامية فدخل نيسابور وقرأ الأصول على الإمام القشيري ثم خرج إلى بلاد ما وراء النهر وسكن سمرقند إلى أن توفي<sup>(٤)</sup>. والشيخ الإمام الحافظ المصنف الثقة أبو الفتح محمد بن أحمد بن عبد الله بن سمكويه الأصبهاني (ت ٤٨٢هـ/١٠٨٩م) كان من فرسان الحديث والمكثرين منه، رحل في طلب الحديث فسمع ببغداد من أبي محمد الخلال وطبقته، وبسمرقند من مسندها عمر بن شاهين<sup>(٥)</sup>. وعلى بن محمد ابن عبد الكريم بن موسى البزدوي (ت ٤٨٢هـ/١٠٨٩م)، نزيل سمرقند، من

(١) السمعاني: المصدر نفسه، ج٣، ص ١٠١.

(٢) حسن عبد الحميد ومحمود عرفة محمود: معالم تاريخ الحضارة العربية، ص ٢٨١. عبد الباري محمد الطاهر: خراسان وما وراء النهر، ص ١٤٦.

(٣) البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١١، ص ٣٤٢. الذهبي: المشتبه في الرجال، ج ١، ص ٢٤٢.

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣٢، ص ١٤٨.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٩، ص ١٦، ١٧.

المحدثين الكبار له تصانيف كثيرة منها "شرح الجامع الصحيح للبخارى" (١).

وأبو بكر محمد بن أحمد بن ماناز بن أميرك بن شاه ابن نصر بن الشعبي بن سمعان النسفي الكبندوى (ت ٤٩٣هـ / ١٠٩٩م) سكن سمرقند، وكان حريصاً على طلب العلم، سمع بسمرقند الكثير من الأحاديث، وسمع، ووعظ مدة في محلة نهر القصارين، وسمع كتاب الجامع الصحيح لعمر بن محمد البجيرى، من أبي نصر بن الجبار البلدى وغيره بنسب (٢).  
وأبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن أبي النضر البلدى الإمام المحدث المشهور (ت ٥٠٤هـ / ١١١٠م) من أهل نسف، سكن سمرقند، رحل إلى العديد من البلاد سمع أبا العباس المستغفرى، وابنه أبا ذر محمد بن جعفر وجماعة أخرى، روى عنه أكثر من عشرين شخصاً بخارى وسمرقند، وحدث بالكتب الكبار مثل الجامع الصحيح لأبي حفص عمر بن محمد البجيرى (٣).

كما كان أبو الخير دلف بن عبد الله بن محمد بن عمر بن التبان البغدادى (ت ٥٤٠هـ / ١١٤٥م) له رحلة واسعة إلى بلدان العالم الإسلامى، واستقر بسمرقند، وسمع بها من محمد بن نصر بن منصور المدينى ومحمود ابن على النسفى، وحدث بها، وروى عنه أبو المظفر بن السمعانى فى مشيخته وأبو بكر الفرغانى خطيب سمرقند (٤). وأبو الحسن على بن محمد بن حمزة بن محمد الفلكى الأصبهانى (ت ٥٥٠هـ / ١١٥٥م) شيخ صالح سديد السيرة

---

(١) الزركشى: تشنيف السامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكى، ص ٢٠١. اللكنوى: الفوائد البهية، ص ١٢٥.

(٢) السمعانى: الأنساب، ج ٥، ص ٢٧، ٢٨. النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند، ص ١٠٤.

(٣) السمعانى: المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٩٠.

(٤) الصفدى: الوافى بالوفيات، ج ١٤، ص ٢٧.

حافظ القرآن الكريم قال السمعاني: قدم علينا سمرقند وذكر لي أنه سمع كتاب الحلية لأبي نعيم الحافظ عن أبي علي الحسن بن أحمد الحداد عنه، وقال: سمعت كتاب المعجم الصغير لأبي القاسم الطبراني بروايته عن أبي علي الحداد وسمع مع السمعاني الحديث بمكة ثم عاد من سمرقند إلى وطنه<sup>(١)</sup>. وأبو محمد سراج الدين علي ابن عثمان الاوشى الفرغانى (ت ٥٧٥هـ / ١١٧٩م) من المحدثين المشهورين، حدث عن شيخ الإسلام نصير الدين أبي عبد الله محمد بن سليمان الاوشى، سمع منه طبقات أبي بكر محمد الطوسى ثم جمع من مروياته مسند أنس بن مالك بإسناد واحد، ثم رحل إلى سمرقند، وسمع بها جامع الترمذى إجازة من العالم محمد بن عبد الحميد الاسمندی، وغريب الحديث لأبي عبيد، كما سمع صحيح البخارى عن الإمام ظهير الدين أبي المحاسن حسن بن علي ابن عبد العزيز البخارى، وصنف سراج الدين مصنفات جيدة فى الحديث<sup>(٢)</sup>.

### الفقه:

وفيما يتعلق بعلم الفقه فى مدن الصغد فقد احتل علمائه مكان الصدارة فى أنحاء العالم الإسلامى ومن ثم قصد مدن الصغد العديد من العلماء لينالوا هذه الحظوة، ومنهم الحاكم أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن الحسن الاسترابادى (ت ٤٣٢هـ / ١٠٤٠م) كان من كبار أئمة علماء الفقه الشافعى، قال السلفى: " كان له الدرس والفتوى ومجلس النظر والتوسط فى سمرقند<sup>(٣)</sup>. والقاضى أبو نصر أحمد بن نصر الاسبيجى (ت ٤٨٠هـ

(١) السمعاني: الأنساب، ج٤، ص ٤٠٠.

(٢) هشام نشابة: موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، ج٢، ص ٥٦٣، ٥٦٤.

(٣) الاسنوى: طبقات الشافعية، ج١، ص ٥٣. ابن الصلاح: طبقات الفقهاء الشافعية،

ج٢، ص ٦٠١. ابن كثير: طبقات الفقهاء الشافعيين، ج١، ص ٣٩٦. النووى:

مختصر طبقات الفقهاء، ص ٥٠٣، ٥٠٤. النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند،

ص ٥٤٥.

١٠٨٧/م) أحد شراح مختصر الطحاوي، كان من المتبحرين في الفقه، سكن سمرقند وجلس للفتوى وصار المرجع إليه في الوقائع وانتظمت له الأمور الدينية وظهرت له الآثار الجميلة<sup>(١)</sup>.

كما كان العلامة شيخ الحنفية أبو اليسر محمد بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم البزدوى (ت ٤٩٣هـ/١٠٩٩) إمام الأئمة على الإطلاق والموفود إليه من الآفاق، انتهت إليه رئاسة الحنفية في بلاد ما وراء النهر، وولى قضاء سمرقند، ودرس الفقه على أيدي كبار علماء عصره، وتفقه عليه علاء الدين محمد السمرقندي، وكثرت تصانيفه في الفقه الحنفي، ومنها: المبسوط في فروع الفقه في مجلدات، وطلبة الطلبة، وكتاب فيه معرفة الحجج الشرعية<sup>(٢)</sup>. وأبو الحسن إدريس بن حمزة بن علي الرملي الفقيه الشافعي (ت ٥٠٤هـ/١١١٠م) كان من أهل الرملة بفلسطين، تفقه على أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي وعلى الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، رحل في طلب العلم إلى بلاد ما وراء النهر وسكن سمرقند، وفوض إليه التدريس بها لأصحاب الشافعي، وكان علماء سمرقند يفخمون أمره ويذكرونه بالتعظيم، ويهابون الكلام معه في المسائل لفصاحته وفضله وحرمة<sup>(٣)</sup>.

---

(١) القرشي: الجواهر المضية، ج١، ص ٣٣٥، ٣٣٦. ابن قطلوبغا: تاج التراجم، ص ٥٤. التيمي: الطبقات السنية، ج٢، ص ١١١، ١١٢.

(٢) البزدوى: كتاب فيه معرفة الحجج الشرعية، ص ١. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٩، ص ٤٩. طاش كبرى زاده: طبقات الفقهاء، ص ٨٦. القرشي: الجواهر المضية، ج ٤، ص ٩٨، ٩٩. اللكنوي: الفوائد البهية، ص ١٢٥. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در ايران، جلد دوم، ص ٢٦٣. الزركلي: الأعلام، ج ٧، ص ٢٢.

(٣) ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ١٤٢. ابن الجوزي: المتكلم، ج ٩، ص ١٦٧، ١٦٨. ابن الصلاح الشهرزوري: طبقات الفقهاء الشافعية، ج ٢، ص ٧٢٣. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ١٧٢. عبد المجيد بدوي: التاريخ السياسي والفكري، ص ١٩٠.

والفقيه شمس الأئمة أبو الفضل بكر بن محمد الأنصارى الجابرى (ت ٥١٢هـ / ١١١٨م) قدم سمرقند، وصار شيخ الحنفية ببلاد ما وراء النهر، وكان يضرب به المثل في حفظ مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة، حتى سمي أبا حنيفة الأصغر، وكان تلميذ أبي محمد عبد العزيز الحلوانى<sup>(١)</sup>. والإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن فاعل السرخكى الفقيه الحنفى (ت ٥١٨هـ / ١١٢٤م) من الفقهاء البارزين، تفقه بسمرقند ثم ببخارى، سمع أبا المعالى محمد بن محمد بن زيد الحسينى، وروى عنه كثيرون<sup>(٢)</sup>.

والإمام الفقيه أبو على الحسين بن الخليل بن أحمد بن محمد النسفى (ت ٥٣٣هـ / ١١٣٨م) نزيل سمرقند، رحل فى طلب العلم إلى بلدان العالم الإسلامى، فتفقه ببخارى على الخطاب محمد بن إبراهيم الكعبى القاضى، وبلغ على الإمام أبى حامد الشجاعى، ودخل بغداد حاجا وحدث بها عن البخارى ثم استقر بسمرقند وكان له يد باسطة فى النظر<sup>(٣)</sup>.

كما كان برهان الأئمة أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن عمر بن مازة المعروف بالصدر الشهيد (ت ٥٣٦هـ / ١١٤١م) من أكابر الحنفية ببلاد ما وراء النهر، رحل فى طلب العلم إلى بلدان العالم الإسلامى واجتهد إلى أن صار أوحده عصره فى علم النظر، وحاز قصب السبق على أقرانه، وناظر الخصوم والكبار بخراسان والعراق، وارتفع أمره ببلاد ما وراء النهر إلى أن صار السلطان يصدر عن رأيه ويتلقى إشارته بالقبول، وعاش فى حرمة وافرة إلى

---

(١) الصفدى: الواقى بالوفيات، ج ١٠، ٢١٨، ٢١٧. الياعى: مرآة الجنان، ج ٣، ص ٢٠٣.

(٢) ابن الاثير: اللباب فى تهذيب الأنساب، ج ٢، ص ١١٣. السمعانى: الأنساب، ج ٣، ص ٢٤٥. القرشى: الجواهر المضية، ج ٣، ص ١٩١، ١٩٢ إسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين، ج ٢، ص ٨٤.

(٣) تقى الدين التميمى: الطبقات السنية، ج ١، ص ١٣٢.

أن رزقه الله الشهادة في معركة قطوان بسمرقند<sup>(١)</sup> ومن أهم مؤلفاته: الجامع الصغير، كتاب المطول، كتاب الفتاوى الصغرى، كتاب الفتاوى الكبرى، الواقعات الحسامية في مذهب الحنفية، حالات وأحكام فقهية مقسمة على الأبواب المألوفة للفروع، كتاب عمدة الفتاوى، كتاب الفتاوى الخاصة، خبرات الفقهاء، شرح أدب القاضى للحصاف<sup>(٢)</sup>.

## علم التصوف

حظى شيوخ الصوفية بالإجلال والتعظيم، وارتفع شأنهم وعظم تأثيرهم في حياة الناس، وأصبح التصوف علما مدونا له علماء الذين ينشرون مبادئه وتعاليمه في شتى بلدان العالم الإسلامى مما أوجد تواصل فكري بين علماء التصوف، ونخص بالذكر أبو بشر عبد الله بن محمد بن محمد بن أحمد بن هارون النيسابورى الصوفى (ت ٤٣٥هـ / ١٠٤٣م) نزيل سمرقند، كان له بها أمالى<sup>(٣)</sup>. والشيخ أبو محمد عبد الخالق بن أبى مالك البلخى الصوفى (ت ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م) دخل سمرقند وحدث بها<sup>(٤)</sup>. وكذلك الشيخ أبو الوليد الحسن بن محمد بن على بن محمد الدربندى البلخى المحدث الصوفى (ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م) كان أحد المشايخ المشهورين الجوالين فى طلب الحديث، قدم نيسابور، ودخل سمرقند وتوفى بها<sup>(٥)</sup>.

(١) الأسنوى: طبقات الشافعية، ج١، ص ٢٠٨. الصفدى: الوافى بالوفيات، ج٢٢، ص ٥١٠. ابن الصلاح الشهرزورى: طبقات الفقهاء الشافعية، ج٢، ص ٨٢٢. ابن فضل الله العمري: ممالك الابصار، ج٦، ص ١٠٢. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد دوم، ص ٥٩. محمد محروس عبد اللطيف: مشايخ بلخ من الحنفية وما انفردوا به من المسائل الفقهية، ج١، ص ٢٢١.

(٢) بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، ج٦، ص ٢٩٤. الزركلى: الاعلام، ج٥، ص ٥١.

(٣) النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند، ص ٣٣٨.

(٤) النسفى: المصدر نفسه، ص ٣٨٧.

(٥) ناجى معروف: مدارس قبل النظامية، ص ٢٩.

والشيخ أبو يعقوب يوسف بن أيوب بن الحسن الهمداني الزاهد (ت ٥٣٥هـ / ١١٤٠م) شيخ الصوفية بمرقند وبقية مشايخ الطريق العاملين، رحل في طلب العلم إلى سمرقند وبخارى وأصبهان، وله مؤلفات جليلة منها كتاب منازل السالكين، وكتاب زينة الحياة<sup>(١)</sup>. والشيخ أبو محمد مظهر الدين محمود بن محمد بن العباس بن أرسلان الخوارزمي صاحب الكافي في الفقه (ت ٥٦٨هـ / ١١٧٢م) كان إماماً في التصوف، رحل في طلب العلم إلى سمرقند وسمع بها أحمد بن عبد الواحد الفارسي<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً: التأثير والتأثر بين مدن الصغد وبلدان العالم الإسلامي

كانت الرحلة في طلب العلم من سمات الحياة العلمية في مدن الصغد خلال العصرين السلجوقي والخوارزمي، وقد ساعد على تيسير هذه الرحلة عدم وجود أي حواجز بين أقطار العالم الإسلامي، حيث كانت البلاد الإسلامية وحدة ثقافية واحدة<sup>(٣)</sup> رغم التفكك والانحلال السياسي للدولة الإسلامية؛ فبفضل تنافس دول الإسلام تعددت البيئات الفكرية وأصبح لكل دولة إسلامية شهرة في ناحية خاصة من الثقافة، ولم تمنع الخصومات السياسية بين الدول التعاون الثقافي<sup>(٤)</sup>. ولاشك أن وحدة اللغة والدين في

(١) الذهبي: العبر في خبر من غير، ج٢، ص ٤٤٩. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٤، ص ١١٠. حسن مینوجهر: کارنامه بزركان ایران، ص ١٨٥، ١٨٦. الزركلي: الأعلام، ج٨، ص ٢١٩، ٢٢٠.

(٢) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٧، ص ٢٨٩.

(٣) عبد الباري محمد الطاهر: خراسان وما وراء النهر، ص ١٤٤. منيرة ناجي سالم: تاج الإسلام أبو سعد السمعاني وكتابه التخيير في المعجم الكبير، ص ٤٣٠.

(٤) الحسين بن رشيق المالكي: لباب المحصول في علم الأصول، ج١، ص ٣٨. عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ١٥٢. على حبيبة: العباسيون في التاريخ، ص ٢٦٤.

جميع أنحاء العالم الإسلامي ساعدت على نشاط التبادل الفكري وانتقال العلماء<sup>(١)</sup>.

وللرحلة في طلب العلم فوائد جمة منها التمكن من الجوانب العلمية لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ والتلقى عن الرجال<sup>(٢)</sup>، ونشر العلم الذي حصله العالم واتساع الثقافة العامة، وكسب صداقات جديدة خالصة<sup>(٣)</sup>.

كان للشغف العلمي الشديد أثره الواضح في دفع العلماء في مدن الصغد وسائر مدن العالم الإسلامي إلى الرحلة من بلد إلى بلد طلباً للعلم إيماناً منهم بأن العلم لا وطن له ولا نهاية له، وأن العالم مهما بلغ علمه وارتفع شأنه فسيجد عند غيره فوائد أو زوائد، قد لا تكون عنده<sup>(٤)</sup>، بل إن أهم أسس تقييم العالم كان حجم رحلته العلمية مكاناً وزماناً، وعدد شيوخه وإجازاته من أئمة العلم في بلدان العالم المختلفة. وصارت المصنفات العلمية والأدبية تنتقل بين بلدان العالم الإسلامي في سهولة ويسر مع طلاب العلم. مما يجعل من الصعب التحديد الدقيق لمواطن التأثير والتأثر بين علماء بلد إسلامي والبلاد الأخرى.

وكان طلبية العلم في سمرقند أثناء رحلاتهم يدرسون ويتلقون عن الشيوخ ويجمعون بالعلماء. ومن أبرز الأمثلة على التواصل الفكري والتأثير

---

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور: المدينة الإسلامية، ص ٨٧. منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين، ص ٦٧.

(٢) الشاشي: حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء، ج ١، ص ٢١. عمر فروخ: عبقريّة العرب في العلم والفلسفة، ص ٩٣.

(٣) الخطيب البغدادي: الرحلة في طلب الحديث، ص ٢٥ - ٢٧. أحمد فؤاد الأهواني: التربية في الإسلام، ص ٦٣.

(٤) الجويني: الدرّة المضيئة فيما وقع فيه الخلاف بين الشافعية والحنفية، ص ٣٦.

الثقافى المتبادل بين علماء مدن الصغد وأقطار العالم الإسلامى تلك الرحلات التى قام بها علماء مدن الصغد إلى بلدان العالم الإسلامى ونخص بالذكر الإمام الحافظ الرحال أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد ابن قاسم بن جعفر السمرقندى (ت ٤٩١هـ / ١٠٩٧م) صحب الحافظ جعفر بن محمد المستغفرى، وسمع ببخارى وبلخ ونيسابور، ولقى كثيرا من المشايخ فى هذه المدن، وأخذ منهم، ومن تصانيفه كتاب بحر الأسانيد فى صحاح المسانيد<sup>(١)</sup>. ومحمد بن محمد بن أيوب أبو محمد القطوانى (ت ٥٠٦هـ / ١١١٢م) من أهل سمرقند سافر البلدان وسمع الكثير، وكان إماماً واعظاً له القبول بين الخواص والعوام<sup>(٢)</sup>.

كان للترابط الفكرى بين علماء القراءات فى مدن الصغد والدولة الإسلامىة أثره البالغ على ازدهار الثقافة الإسلامىة بصفة عامة، ويكفى لبيان هذا التواصل الفكرى إسهامات العلماء الرائعة فى هذا العلم ومنهم أبو نصر منصور بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله السمرقندى المقرئ من أشهر قراء عصره (ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م) كان يعرف بالعراقى لكثرة مقامه بالعراق وسفره إليها، وكان من القراء المجودين، رحل فى طلبها إلى العراق والحجاز وأدرك الشيوخ من القراء، وقرأ عليهم القرآن ورجع إلى بلاد ما وراء النهر وصنف التصانيف القيمة فى القراءات، ومنها كتاب "الوقوف" وأيضاً الكتاب الذى رآه السمعانى ووصفه بأنه غاية فى الإحسان وأورد فيه الروايات وذكر القراء سبعة<sup>(٣)</sup> وأبو بكر أحمد بن عمر بن الأشعث السمرقندى المقرئ (ت ٤٨٩هـ

(١) الذهبى: تذكرة الحفاظ، ج٤، ص ١٢٣٠، ١٢٣١. السيوطى: طبقات الحفاظ،

ص ٤٥٠. الصيرفىنى: تاريخ نيسابور المنتخب من السياق، ص ٢٨٢.

(٢) ابن الجوزى: المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، ج٩، ص ١٧٢، ١٧٣. سبط بن

الجوزى: مرآة الزمان، ج٨، القسم ١، ص ٤٣.

(٣) السمعانى: الأنساب، ج٤، ص ١٧٥، ١٧٦.

(١٠٩٥م) نزيل دمشق ثم نزيل بغداد، روى عنه ابنه أبو القاسم إسماعيل السمرقندي، وكان محمودا متقنا عارفا بالروايات محققا في الأخذ وكان يكتب على طريقة الكوفيين وقرأ على أبي علي الأهوازي (ت٤٤٦هـ/١٠٥٤م) الذي كان أشهر قراء عصره، وكان أعلى من بقى في الدنيا إسنادا في القراءات، عنى من صغره بالروايات والأداء وقرأ لعاصم وأبي حفص، ورحل إليه القراء لتبحره في الفن وعلو إسناده<sup>(١)</sup>.

وشهاب الدين أبو أحمد محمد بن عمر الخالدي الجنبذي السمرقندي شيخ الإقراء بسمرقند قرأ بالروايات على والده، وكان عارفا بالمشهور والشاذ، سمع من أبي سعد السمعاني، روى عنه ابنه المقرئ شمس الدين أبو محمود محمد وأبو رشيد الغزال<sup>(٢)</sup>. ومحمد بن محمود بن محمد على (ت٥٥٦هـ/١١٦٠م) سبط ناصر الدين أبي القاسم السمرقندي، له المصنفات الكثيرة في علم القراءات منها "الخلافات بين شعبة وحفص" الروايتين لعاصم، و"تجويد الفاتحة والتوحيد" و"إيضاح الخوالم في رسم المصاحف"، "روح المرید فی شرح عقد الفريد"، "عقد الفريد في علم التجويد"، "كتاب التسجير على طريق التشجير في علم القراءات" و"المبسوط والمضبوط في القراءات السبعة فارسي"<sup>(٣)</sup> والقراءات السبع في ثلاثة كتب<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، ج١، ص٩٢. ابن الجوزي: المنتظم، ج٩، ص٩٨. الديمياطي: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ج٢، ص٦٤. الذهبي: معرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار، ص٣٢٢ - ٣٢٤. الصالحى: طبقات علماء الحديث، ج٣، ص٤١٧.

(٢) ابن الجزري: المصدر نفسه، ج٢، ص٢٤٦. ابن حجر العسقلاني: تبصير المتبته بتحرير المشتبه، ج١، ص٣٦١. الذهبي: المشتبه في الرجال، ج١، ص١٨٣. السمعاني: الأنساب، ج٢، ص٩١.

(٣) حاجي خليفة: كشف الظنون، مع١، ص٢٠٩. إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين، ج٢، ص١٠٦.

(٤) آقا بزرك الطهراني: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج١٩، ص٥٥.

كما كان للتفاعل الثقافي بين علماء التفسير في مدن الصغد والدولة الإسلامية أثره البالغ على ازدهار الثقافة الإسلامية ومن هؤلاء العلماء شمس الدين محمد السمرقندي (ت ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م) صنف كتابا في التفسير ومات قبل أن يتمه، فأتمه الشيخ أحمد بن محمود الفرغاني الأصم (ت ٩٧١هـ/ ١٥٦٣م)<sup>(١)</sup>. ومحمد بن عثمان بن محمد حسام الدين العليابادي السمرقندي (ت ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م) كان من أشهر علماء التفسير في سمرقند له مصنفات قيمة منها "مطلع المعاني ومنبع المباني في تفسير القرآن في مجلدات"<sup>(٢)</sup>. وكانت تلك المصنفات تنتقل بين المدن الإسلامية في سهولة ويسر مع طلاب العلم مما كان له كبير الأثر في ازدياد التفاعل الثقافي بين العلماء خلال فترة البحث.

أما الترابط الفكري بين علماء الحديث في مدن الصغد والدولة الإسلامية فيتجلى أثره البالغ على ازدهار الثقافة من خلال إسهامات العلماء القيمة في هذا العلم ومنهم أبو الحسن العربي علي بن إبراهيم بن نصرويه بن سختام بن هرثمة بن إسحاق بن عبد الله ابن إبراهيم أسكر بن كاك العربى السمرقندي (ت ٤٣٩هـ/ ١٠٤٧م) كان من أشهر علماء الحديث، له رحلة واسعة إلى بلدان العالم الإسلامي، قدم بغداد حاجا وحدث بها عن محمد ابن أحمد بن مت الاشيخنى، وإبراهيم بن محمد بن عبد الله بن يزداد الرازى<sup>(٣)</sup>. وأبو حفص عمر بن أحمد بن محمد بن حسن بن شاهين السمرقندي (ت ٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م) مسند تلك الديار كان واسع الرحلة إلى بلدان العالم الإسلامي وسمع مشاهير المشايخ، روى عنه أهل سمرقند<sup>(٤)</sup>.

(١) حاجى خليفه: كشف الظنون، ج٢، ص ٢٠٧٤.

(٢) إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين، ج٢، ص ١١٢. عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مج ٣، ص ٤٨٣.

(٣) البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١١، ص ٣٤٢. الذهبي: المشته في الرجال، ج ١، ص ٢٤٢.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ١٢٧. السمعاني: الأنساب، ج ٣، ص ٣٩٠.

ونصر بن إبراهيم السلطان شمس الملك (ت ٤٩٢هـ / ١٠٩٨م) صاحب ما وراء النهر من أفاضل الملوك، حدث وأملى وخطب على منبرى بخارى وسمرقند<sup>(١)</sup> والحافظ أبو محمد عبد الله بن أبي الأشعث السمرقندي (ت ٥١٦هـ / ١١٢٢م) له رحلة واسعة، دخل نيسابور واصبهان وعنى بالحديث وله مصنفات كثيرة، وكان ذا فهم ودراية مع الإتقان والتحرى وخرج لنفسه معجماً في مجلد، وكان من الثقات النقاد<sup>(٢)</sup>. والإمام الحافظ المسند أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر بن أبي الأشعث السمرقندي (ت ٥٣٦هـ / ١١٤١م) كان من أشهر المحدثين والرحالة في عصره، سمع من شيوخ دمشق ثم قدم بغداد فسمع ابن النقور والصريفيني وسمع بالقدس من مكى الرميلي، وحدث بدمشق في دار الحسن ابن أبي الحديد، كان ثقة قال السلفي: "ثقة له أنس بمعرفة الرجال، وقال السمعاني: قرأت عليه الكتب الكبار والأجزاء وأملى بجامع المنصور أزيد من ثلاثمائة مجلس في الجمعيات بعد الصلاة، وقال ابن الجوزي: "انفرد بأشياخ لم يبق من يروى عنهم غيره وكان مكثراً فيه عاش إلى أن خلت بغداد وصار محدثها، حتى صار يطلب أجراً على التسميع بعد حرصه على التحديث، وقال أبو القاسم: ما بقى أحد يروى معجم ابن جميع غيرى، ولا عند عبد الهلالي، ومن تلامذته أبو طاهر السلفي، وابن عساكر الدمشقي، وأبو سعد السمعاني<sup>(٣)</sup>.

- 
- (١) الزركلي: ترتيب الأعلام على الأعوام، مج ١، ص ٣٤٨.  
(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٩، ص ٤٦٥، ٤٦٦. الصالحى: طبقات علماء الحديث، ج ٤، ص ٣٦. الصريفيني: تاريخ نيسابور المنتخب من السياق، ص ٤٥٦. ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٤، ص ٤٩.  
(٣) ابن الجوزي: أعمار الأعيان، ص ٦٥. الظاهري الحنفي: مشيخة ابن البخارى، ص ٢٠٠. ابن الصابوني: تكملة إكمال الإكمال فى الأنساب والأسماء والألقاب، ص ٦٤. أبو القاسم إسماعيل السمرقندي: ما قرب سنده من حديث، ص ٥ - ٨.

ونجم الدين أبو حفص عمر بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن علي ابن لقمان النسفي السمرقندي (ت ٥٣٧هـ / ١١٤٢م) كان من أصحاب الحديث، حدث عن إسماعيل بن محمد النوحى وعلي بن الحسن الماتريدى وأبى محمد الحسن بن أحمد السمرقندي ومهدى بن محمد العلوى وعبد الله بن علي النسفي وأبى اليسر محمد بن محمد بن محمد النسفي، وحدث بكتاب تطويل الأسفار لتحصيل الأخبار من جمعه، وروى فيه عن عامة مشايخه ومستجازاته ومتناولاته عن جميع مشايخه، وقام " بشرح كتاب صحيح البخارى وسماه النجاح فى شرح كتاب أخبار الصحاح "، وذكر أنه خرج تسعة وعشرين حديثاً عن تسعة وعشرين شيخاً كل شيخ حديث، أجاز للسمعاني جميع مروياته، وروى عنه ابنه أبى الليث أحمد بن عمر (١).

كما كانت أم الحسن كمال بنت عبد الله بن أحمد السمرقندي (ت ٥٥٨هـ / ١١٦٢م) من أشهر علماء الحديث، وهى زوجة المحدث عبد الخالق اليوسفي، حدثت عن أبى عبد الله الحسين بن أحمد بن طلحة النعالى وطراد بن محمد الزينى مسند العراق، وحدث عنها إبراهيم بن برهان النجاج، وقرئ عليها الجزء الثانى من أمالى إسماعيل المحاملى وسمع عليها الجزء السادس والسابع والثامن من حديث المحاملى بسماها من عمر بن علي الطوسى (٢).

ظهر خلال العصر السلجوقى فى مدن الصغد عدد عظيم من كبار علماء الفقه الذين أسدوا للثقافة الإسلامية خدمات جليلة بجدهم وصبرهم على

(١) الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج ٢٠، ص ١٢٦. عماد الدين الاصفهانى: خريدة القصر وجريدة العصر، ج ٢، ص ١٢٠. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبيصار فى ممالك الأمصار، ج ٦، ص ١٠٣، ١٠٤. النسفي: العقائد النسفية، ص ٩.

(٢) الذهبى: المنتبة فى الرجال، ج ١، ص ٢٣٥. عمر رضا كحالة: أعلام النساء فى عالمى العرب والإسلام، ج ٤، ص ٢٦٢.

البحث ورحلتهم إلى منابع العلم يأخذونه من أهله حيث كان. ومن أهمهم الشيخ الإمام الخطيب الحافظ أبو العباس جعفر بن محمد بن المعتز بن محمد ابن المستغفر النسفى السمرقندى المستغفرى (ت ٤٣٢هـ / ١٠٤٠م) لم يكن ببلاد ما وراء النهر فى عصره مثله، رحل فى طلب العلم إلى خراسان، وأقام بسرخس ومرو مدة، صنف التصانيف القيمة منها: كتاب طب النبى، الدعوات، معرفة الصحابة، فضائل القرآن دلائل النبوة، الشمائل، المنامات (١).

وشىخ الإسلام أبو الحسن على بن حسين بن محمد السغدى (ت ٤٦١هـ / ١٠٦٨م) كان من أئمة علماء الفقه، إماما فاضلا وفقهيا مناظرا، سكن بخارى، وتصدر للإفتاء، وولى القضاء، وانتهت إليه رئاسة الحنفية، ورُحِل إليه فى النوازل والواقعات، أخذ الفقه عن شمس الأئمة السرخسى وروى عنه شرح السير الكبير، ومن تصانيفه التتف فى الفتاوى، شرح الجامع الكبير للشيبانى فى فروع الفقه الحنفى (٢).

وأبو القاسم على بن المظفر بن زيد بن حمزة بن محمد العلوى الحسينى بن أبى يعلى الدبوسى (ت ٤٨٢هـ / ١٠٨٩م) كان من كبار أئمة الشافعية، متوحدا متفردا فى الفقه، قدم بغداد وولى التدريس بنظامية بغداد، تفقه عليه جماعة من البغداديين، ومن الغرباء وأملى ببغداد مجالس، سمع أبا عمر بن عبد العزيز القنطرى، وروى عنه عبد الوهاب الائمطى، وأبو الفضل محمد

---

(١) القرشى: الجواهر المضية، ج٢، ص ١٩. السيد محسن الأمين: أعيان الشيعة، مج ٤، ص ١٨٣. النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند، ص ١٧.

(٢) القارى: طبقات الحنفية، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، ص ٣٧. ابن الأثير: اللباب فى تهذيب الأنساب، ج٢، ص ١٢٠. اللكنوى: الفوائد البهية، ص ١٢١. إسماعيل باشا: هدية العارفين، ج١، ص ٦٤٨.

ابن أبي الفضل المسعودي وآخرون<sup>(١)</sup>. وشيخ الإسلام خواهر زاده أبو محمد ابن الحسن البخاري السمرقندي (ت ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م) كان شيخ الأحناف ببلاد ما وراء النهر، وطريقته أبسط طريقة للأصحاب، أخذ عن خاله أبي ثابت وعن أبي الفضل منصور ابن نصر الكاغدي، وروى عنه أبو عمر عثمان ابن علي بن محمد البيكندي ومن مؤلفاته: المختصر، التجنيس، المبسوط<sup>(٢)</sup>.

تجدر الإشارة هنا إلى أنه كان للنساء مشاركة فعالة في ميدان العلوم الدينية حيث ظهر في هذا العصر عالمات أسهمن في تقدم علم الفقه ليس في مدن الصغد فحسب ولكن في أنحاء الدولة الإسلامية، فكانت فاطمة بنت محمد بن أحمد السمرقندي مؤلف التحفة (ت ٥٧٦هـ / ١١٨٠م) عالمة فاضلة فقيهة محدثة ذات خط جميل، تفقّهت على أبيها وحفظت التحفة، وكانت تنقل المذهب نقلاً جيداً، تلقت العلم عن جملة من الفقهاء وأخذ عنها كثيرون وتصدرت للتدريس وألفت مؤلفات عديدة في الفقه والحديث.

رحلت إلى حلب مع زوجها الكاساني، وعاصرت الملك العادل نور الدين الشهيد واستشارها في بعض أموره الداخلية وسألها عن بعض المسائل الفقهية وأنعم عليها، وكان زوجها ربما يخطأ في الفتيا فترده إلى الصواب وتعرفه وجه الخطأ فيرجع إلى قولها، وكانت تفتي وكان زوجها يحترمها

---

(١) ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ج١، ص ٤٩٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص ٩١ - ٩٣. السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٥، ص ٢٩٦، ٢٩٧. ابن الصلاح الشهرزوري: طبقات الفقهاء الشافعية، ج٢، ص ٨١٨. ابن كثير: طبقات الفقهاء الشافعيين، ج٢، ص ٤٨٣.

(٢) حسين الديار بكري: تاريخ الخميس، ج٢، ص ٣٦٠. طاش كبرى زاده: طبقات الفقهاء، ص ٨٨. النسفي: القند في ذكر علماء سمرقند، ص ٤٦٦. الزركلي: ترتيب الأعلام على الأعوام، مج ١، ص ٣٤٤.

ويكرمها، وكانت الفتوى أولاً تخرج وعليها خطها وخط أبيها، فلما تزوجت بالكاساني صاحب البدائع صارت الفتوى تخرج بخط الثلاثة<sup>(١)</sup>.

كما كان الإمام برهان الدين أبو الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني السمرقندي صاحب الهداية (ت ٥٩٣هـ / ١١٩٦م) إماماً فقيهاً جامعاً للعلوم ضابطاً للفنون، تفقه على الأئمة المشهورين منهم مفتي الثقلين نجم الدين أبو حفص عمر النسفي والإمام الصدر الشهيد حسام الدين عمر بن عبد العزيز، والإمام ضياء الدين محمد ابن الحسين البنديجي تلميذ صاحب التحفة علاء الدين السمرقندي، وتفقه عليه ابنه عمر ابن علي أبو حفص، وابنه الآخر محمد بن علي بن أبي بكر الإمام الملقب عماد الدين، رحل إليه العلماء من أرجاء العالم الإسلامي<sup>(٢)</sup>. له مؤلفات عديدة منها كتاب البداية، وكتاب مجموع النوازل، وكتاب كفاية المنتهى ومناسك الحج<sup>(٣)</sup>.

### ثالثاً: أثر مؤلفات علماء الصغد في إثراء الحياة الثقافية في بلدان

#### العالم الإسلامي

#### ١ - إسهامات علماء الصغد في العلوم الأساسية:

شهدت مدن الصغد حركة تأليف واسعة في العلوم الأساسية ساعدت على التواصل الفكري بين العلماء لانتقالها فيما بين المدن الإسلامية ومن أبرز

---

(١) طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة، ج ٢، ص ٢٧٣، ٢٧٤. القرشي: الجواهر المضية،

ج ٤، ص ١٢٠ - ١٢٣. عمر رضا كحالة: أعلام النساء، ج ٤، ص ٩٤، ٩٥.

(٢) الاسمندی: طريقة الخلاف في الفقه بين الأئمة الأسلاف، ص ٢٦. برهان الدين

المرغيناني: الهداية شرح بداية المبتدى، مج ١، ص ٨.

(٣) برهان الدين المرغيناني: المصدر نفسه، مج ١، ص ٩. الذهبي: سير أعلام النبلاء،

ج ٢١، ص ٢٣٢.

هذه المؤلفات "كتاب تأسيس النظر في اختلاف الأئمة"، لأبي زيد عبد الله بن عمر بن عيسى الحنفى الدبوسى (ت. ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م) وبعد هذا الكتاب من أهم كتب الخلاف، وقد ألفه الدبوسى عندما رأى تصعب الأمر فى تحفظ مسائل الخلاف على المتفقيين وتعسر طرق استنباطهم عليهم وقصور معرفتهم عن الاطلاع على حقيقة مأخذها، إذا تدبر الناظر فيها عرف مجال التنازع ومدار التناطح عند التخاصم فيصرف عنايته إلى ترتيب الكلام وتقوية الحجج فى المواضع التى عرف إنها مدار القول، ومجال التنازع فى موضع النزاع، فيسهل عليهم تحفظها، ويتيسر لهم سبيل الوصول إلى عرفان مأخذها". ثم قسم الخلاف بين الفقهاء وجعله ثمانية أقسام؛ فيما بين فقهاء الأحناف أنفسهم من جهة وبين هؤلاء والإمام مالك بن أنس ومحمد بن إدريس الشافعى من جهة أخرى (١).

وكذلك "كتاب تقويم الأدلة" المعتمد فى أصول الفقه الحنفى، وضمن كتابه هذا آراءه الأصولية وإن كانت تخالف أئمة مذهبه، واعتنى علماء الحنفية بهذا الكتاب، فشرحه الإمام فخر الإسلام على بن محمد البزدوى الحنفى وهو شرح حسن، واختصره الإمام سيف الدين أبو بكر محمد بن الحسين الأرسابندى، وشرحه أيضا الإمام بدر الدين محمود ابن عبد الكريم الكردي (٢). وكتاب الأسرار، وكتاب نظم الفتاوى وكتاب خزانة الهدى فى الفتاوى وكتاب الأسرار فى الأصول والفروع، وكتاب تحديد أدلة الشرع (٣).

(١) الجوينى: الدرر المضية فيما وقع فيه الخلاف بين الشافعية والحنفية، ص ٦١. الدبوسى:

تأسيس النظر، ص ١

(٢) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج ١، ص ٤٦٧. السغنائى: الوافى فى أصول الفقه،

ج ١، ص ٨٩، ٨٨.

(٣) الدبوسى: المصدر نفسه، ص ٣. الزركشى: تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين

السبكي، ج ٢، ص ٦٣٧. إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين، ج ١، ص ٦٤٨.

عمر رضا كحاله: معجم المؤلفين، مج ٢، ص ٢٦٦.

وكتاب الأمد الأقصى وهو نصائح وإرشادات أخلاقية كلامية<sup>(١)</sup>.

وكتاب "بحر الأسانيد في صحاح المسانيد" لأبي محمد الحسن بن أحمد بن محمد بن القاسم بن جعفر السمرقندي القاسمي (ت ٤٩١هـ/ ١٠٩٧م)، جمع فيه مائة ألف حديث في ثمانمائة جزء، وأتى فيها بطرق الأحاديث على اختلافها وتباين وجوهها ورواياتها، حقا لم يقع في الدولة الإسلامية مثله<sup>(٢)</sup>.

وكتاب "التيسير في التفسير" لنجم الدين أبو حفص عمر بن محمد النسفي السمرقندي (ت ٥٣٧هـ/ ١١٤٢م) ذكر في الخطبة مائة اسم من أسماء القرآن ثم عرف التفسير والتأويل ثم شرع في المقصود، وفسر الآيات بالقول وبسط في معناها كل البسط، كما صنف "الأكمل الأطول في التفسير"<sup>(٣)</sup>.

وكتاب "تحفة الفقهاء في الفروع" للفقهاء أبو بكر علاء الدين محمد بن أحمد بن أبي أحمد السمرقندي (ت ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م) والتحفة حلقة هامة في سلسلة كتب الفقه الإسلامي يمتاز بالتقسيم والترتيب، فهو كتاب علمي عملي وسط سهل مرتب، يتصل اتصالا ظاهرا بكتابين: أحدهما مختصر القدوري، والثاني بدائع الكاساني. بيد أن التحفة تمتاز على المختصر بالترتيب والتقسيم، كما قال صاحب التحفة نفسه: "اعلم أن المختصر المنسوب إلى الشيخ أبي

---

(١) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ج ٣، ص ٢٧٣.

(٢) أبو عبد الله الدمشقي: طبقات علماء الحديث، ج ٣، ص ٤٢٢، ٤٢٣. النسفي: القند في ذكر علماء سمرقند، ص ٧٠٢، ٧٠٣. عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مج ١، ص ٥٣٧. قيس آل قيس: الإيرانيون والأدب العربي رجال علم الحديث، مج ٢، ص ٥٣٥. ناجي معروف: علماء النظاميات، ص ٥٢.

(٣) الدبوسي: تأسيس النظر، ص ١٠٩. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢٠، ص ١٢٦. اللكنوي: الفوائد البهية، ص ١٤٩، ١٥٠. النسفي: العقائد النسفية، ص ٩. محمد ابن محمد الثعالبي الفاسي: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، مج ٢، ص ١٨٠،

الحسين القدورى جامع جملا من الفقه مستعملة بحيث لا تراها مدى الدهر مهمله يهدى بها الرائض فى أكثر الحوادث والنوازل ويرتقى بها المرتاض إلى أعلى المراتى والمنازل، ولما عمت رغبة الفقهاء إلى هذا الكتاب، طلب منى بعضهم، من الإخوان والأصحاب، أن أذكر فيه بعض ما ترك المصنف من أقسام المسائل وأوضح المشكلات منه، بقوى من الدلائل، ليكون ذريعة إلى تضعيف الفائدة بالتقسيم والتفصيل، ووسيلة بذكر الدليل، إلى تخريج ذوى التحصيل، فأسرعت فى الإسعاف والإجابة، رجاء التوفيق من الله فى الإتمام والإصابة" (١). وأما صلتها بالبدائع فمعروفة مشهورة صيغت فى عبارة جميلة هى " شرح تحفته وتزوج ابنته" (٢).

وأيضاً "ميزان الأصول فى نتائج العقول" من أهم المصنفات التى ساعدت على الترابط الفكرى بين العلماء وهو كتاب متوسط الحجم، ليس فيه إطناب ممل ولا إيجاز مخل، أسلوبه سهل، عذب سلس وترتيبه منطقى، ومن منهجه عرض الآراء المختلفة وبيان كل حجة دون الدخول - فى الغالب - فى المناقشة والجدل، وله أيضا كتاب اللباب فى أصول الفقه (٣).

كما يعد كتاب "بذل النظر فى الأصول" للفقير أبو الفتح محمد بن عبد الحميد بن الحسين بن الحسن بن حمزة السمرقندى المعروف بالعلاء العالم (٥٥٢هـ/١١٥٧م)، من الكتب النفيسة يحتوى على أبواب عديدة يجمع كل واحد منها مسائل منتظمة، واختلف منهج المؤلف فى معالجة الأبواب بحسب

(١) علاء الدين السمرقندى: تحفة الفقهاء، ج١، ص ٢٢، ٢٣.

(٢) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج ١، ص ٣٧١. ابن قطلوبغا: تاج التراجم، ص ٢٩٤.

(٣) الزركشى: تشيف المسامع يجمع الجوامع، ج١، ص ٢٨٧. السغناتى: الوافى فى أصول

الفقه، ج١، ص ٩٠. علاء الدين السمرقندى: ميزان الأصول، ص ١٧، ١٦م. عتيق

أحمد البستوى: دور العلماء الأحناف فى تدوين أصول الفقه وأهم كتبهم الأصولية،

ص ١٥٢، ١٥٣.

طبيعة القضايا<sup>(١)</sup>. وكذلك الطريقة المعروفة بطريقة العلاء العالم فى مجلدات يقال لها التعليقة، وشرح منظومة الخلافات للنسفى، وكتاب طريقة الخلاف فى الفقه، وهذا الكتاب أحاط بأحكام الفقه فى مجملها وتفصيلها مدركا بحكمها وعللها مميزا عن وعى كامل بين المتشابهات والمختلفات منها<sup>(٢)</sup> والكتاب من أوله إلى آخره يسير على نهج واحد، فهو أولا يورد حكم المسألة ويعقبه غالبا بالحكم المخالف بقوله: "كثيرا وعنده"<sup>(٣)</sup>، وجمع فيه المؤلف أكثر من مائتى مسألة فرعية مختلف فيها وزعها على اثنين وثلاثين كتابا<sup>(٤)</sup>.

ويعد كتاب "شرعة الإسلام إلى دار السلام"، من أبرز الأمثلة على التفاعل الثقافى بين العلماء، والكتاب فى واحد وستين فصلا، ألفه الشيخ ركن الإسلام محمد بن أبى بكر السمرقندى (ت ٥٧٣هـ / ١١٧٧م) لتهديب أطفال أهل الإيمان، وصفه فى بعض كلامه "إنه أول ما يلقن به أطفال أهل الإيمان، وأحق ما يتحفظه أهل الإيمان بل لا مندوحة دونه لسالك سبيل الهدى كيلا يتردى به الهوى فى هوة الردى" والظاهر أن المؤلف قصد بهذا الكتاب أن ينتفع به أعقابه ويتخذوه دليلا ومرشدا، فقال فى مقدمة الكتاب "والمأول من فضل الكريم الوهاب أن يبارك لى لمن أخلفه من الأعقاب بما أودعته هذا الكتاب، إنه ولى الإجابة والإيجاب وإليه المصير والمآب"

لكن الكتاب أصبح مرجعا للعامة والخواص ودليلا موجهها لمن أراد أن يهتدى فى حياته بهدى الكتاب والسنة وهدى الرسول ﷺ فى العادات

(١) الأسمندى: بذل النظر فى الأصول، ص ٢٣. الداودى: طبقات المفسرين، ج ٢،

ص ١٧٧. العسقلانى: لسان الميزان، ج ٥، ص ٢٤٣. ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات،

مج ٤، ج ١، ص ١٥.

(٢) الأسمندى: طريقة الخلاف فى الفقه بين الأئمة الأسلاف، ص ٢٤.

(٣) الأسمندى: طريقة الخلاف فى الفقه بين الأئمة الأسلاف، ص ٤٣.

(٤) هشام نشابه وآخرون: موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، مج ١،

ص ٦٧٨.

والتقاليد والعبادات والأحكام والمعاملات، فذكر ما ثبت بالسنة من عقائد الدين وملة الإسلام ينهج في ذلك نهج السلف، فجاء كقانون ودستور للحياة في العقائد والأعمال والأخلاق. وتعرض في الكتاب لعلم أخلاق الدين وأخلاق العلماء وذكر آداب المتعلم وحقوق المعلم، وفي الكتاب فصول في بيان الأحكام العملية في حياة المسلم، والأحكام من الوصايا والتجارب وفصول في الفضائل والأدعية والأذكار<sup>(١)</sup>.

وكتاب "بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع" لأبي بكر مسعود بن أحمد الكاساني علاء الدين ملك العلماء (ت ٥٨٧هـ / ١١٩١م) رتبته الكاساني ترتيباً حسناً وأوضح مشكلاته بذكر الدلائل في جميع المسائل، على أن القول بأن البدائع شرح التحفة يحتاج إلى بيان، ذلك أن صاحب البدائع لم يتخذ متناً فيشرحه عبارة عبارة ولا تفصيلاً بل إنه رتبته ترتيباً جديداً، سار به بالصنعة الفقهية إلى الأمام ولكنه حافظ على ألفاظ التحفة بحيث يجد الباحث التحفة في البدائع بلفظها لكن بترتيب آخر<sup>(٢)</sup>. وله مؤلفات عديدة منها كتابه السلطان المين في أصول الدين، وسماه المعتمد في المعتقد، وكتاب ندره أصحاب الإمام أبي حنيفة في الزمن الأخير، وكان مواظباً على ذكر الدرس ونشر العلم<sup>(٣)</sup>.

ولا شك أن هذه المصنفات التي خلفها علماء الصغد كانت ثروة ثقافية لها شأنها في بناء الفكر الإسلامي. وكانت تنتقل بين المدن الإسلامية في

---

(١) محمد بن أبي بكر السمرقندي: شرعة الإسلام إلى دار السلام، ص ٢٧، ٢٦م. الزركلي: الأعلام، ج ٦، ص ٥٤.

(٢) علاء الدين السمرقندي: تحفة الفقهاء، ج ١، ص ٢٣، ٢٤.

(٣) ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، ج ١٠، ص ٤٣٤٧، ٤٣٤٨ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج ٦، ص ١١٩، ١٢٠. الكاساني: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ص ٧٧، ٧٨. اللكنوي: الفوائد البهية، ص ٥٣.

سهولة ويسر مع طلاب العلم مما كان له كبير الأثر في ازدياد التفاعل الثقافي بين العلماء خلال فترة البحث .

## ٢- الإسهامات اللغوية والأدبية التي قدمها علماء الصغد:

### اللغة والنحو

كان تأثير علماء النحو والأدب في مدن الصغد على البلاد الإسلامية تأثيراً عظيماً حيث استطاع مشاهير العلماء في مدن الصغد أن يرتقوا بالعربية كي تصبح لغة التعبير عن حصيلة ما وصلت إليه المعرفة الإنسانية، وأن تصبح من خلال مصنفاتهم التي يصعب إحصاؤها لغة العلم والبحث العلمي، وقد ترك علماء الصغد ومنهم العلامة رضى الدين أبو الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر بن على بن إسماعيل العدوى الصاغانى، أثراً مميزة في تطور اللغة العربية والنحو، وإليه المنتهى في علم اللغة ومعرفة اللسان العربى، وله مؤلفات كثيرة تدل على سعة الاطلاع وامتداد آفاق البحث والإحاطة بأطرافه، ومن مؤلفاته فى اللغة كتاب مجمع البحرين فى اللغة فى أثنى عشر مجلداً، وكتاب العباب الزاخر واللباب الفاخر وهو معجم كبير فى عشرين جزءاً من أشهر معاجم اللغة، ومات قبل إكماله وانتهى فيه إلى فصل (ب ك م) من حرف الميم<sup>(١)</sup>.

كما ألفت كتاب التكملة والذيل والصلة فى اللغة، وسار فى ترتيب المواد اللغوية على حسب الحرف الأخير من الكلمة على نظام الباب والفصل، وتقع التكملة فى ستة أجزاء . وله كتاب الشوارد فى اللغات، وكتاب الأضداد، وكتاب أسماء الأسد، وكتاب أسماء الذئب، وكتاب النوادر فى اللغة وكتاب

(١) الصاغانى: التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية مج ١، ص ٦٧، ٦٨.

اللكنوى: الفوائد البهية، ص ٦٣. ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج ٣، ص ٩٤.

اليمانى: إشارة التعيين فى تراجم النحاة واللغويين، ص ٩٨.

فى التصريف وله كتاب فعال على وزن حذام، وكتاب فعالن على وزن  
شنان، وكتاب الانفعال، وكتاب يفعول، وكتاب التراكيب<sup>(١)</sup>.

## الأدب

وصل فن الأدب إلى درجة رفيعة من الرقى والتقدم وكثر عدد الشعراء  
والكتاب النابهين الذين ذاعت شهرتهم فى أرجاء العالم الإسلامى كله فى  
ذلك الوقت<sup>(٢)</sup>. ويعتبر كتاب جهار مقالته لنظامى عروضى سمرقندى من أقدم  
الكتب الفارسية التى عالجت جوانب من الحياة الأدبية والعلمية فى بلاد ما  
وراء النهر منذ القرن الثالث الهجرى حتى منتصف القرن السادس الهجرى .  
وكان نظامى عروضى واحدا من رواد النثر الفارسى الذين وضعوا القواعد  
للكتابة فى فن الإنشاء، فهو موجز فى ألفاظه كبير فى معانيه ابتعد عن  
التصنع فى اللفظ وعن التكلف فى العبارات كما ابتعد عن الحشو والإطناب  
الممل مما جعل عباراته لطيفة وموضوعاته جذابة. ومن ثم يمكن أن يعد هذا  
الكتاب من حيث سلامة الإنشاء وأسلوب العبارة، ونسج الكلام فى طبيعة  
الأثار الفارسية المشورة، كما يعد نموذجا للنثر الفارسى، كما يعتبر لسلاسة  
أسلوب الكتاب وجمال عباراته نموذجا يقتدى به الكتاب والأدباء من حيث  
إنشائه وأسلوبه<sup>(٣)</sup>. وبذلك يعد نظامى عروضى من أبرز أمثلة تأثير مدن  
الصغد على العالم الإسلامى خلال فترة البحث.

ومن أهم الكتب التى مثلت صورة حية للتفاعل الثقافى كتاب "سندباد  
نامه" لبهاء الدين محمد بن على بن محمد بن الحسن الظهيرى الكاتب

---

(١) الصاغانى: المصدر نفسه، مج ١، ص ٦، ٧. الكتبى: فوات الوفيات والذيل عليها،  
ج ١، ص ٣٥٩، ٣٦٠. اليمانى: المصدر نفسه، ص ٩٨، ٩٩.

(٢) عبد النعيم محمد حسين: إيران والعراق فى العصر السلجوقى، ص ١٨٩.

(٣) المرونسى السمرقندى: جهار مقالته، ص ١. السباعى محمد السباعى: النثر الفارسى،

السمرقندی. (بت ٥٥٦هـ / ١١٦٠م) (١) وهذا الكتاب فى القصص والحكايات المشتملة على المواعظ والنصائح والحكم والمصالح فى سيرة الملوك مع الرعايا وحسن رعايتهم للرعية. ومؤلفه فيما يقال حكيم هندی اسمه سندباد نامہ- كان يعيش فى زمان ملك من ملوك الهند، ترجمه القناوزى وقام محمد بن على الظهيرى السمرقندى بإخراج هذه الترجمة من بداوتها وكسادها وألبسها ثوبا أدبيا جديدا مزينا بالأمثال والأحاديث والآيات والأشعار الفارسية والعربية، وجعله باسم السلطان قلع طمغاج خان بن قراخان برهان مسعود (٢). ويعد كتاب السندباد قصة لها بداية ونهاية تستوعب بينها حكايات هادفة، يرويها أشخاصها فى مناسبات ومشاهد مختلفة، ومجموع هذه الحكايات هو مادة القصة وقوامها، فهى أشبه بنظام عقد ينتظم حياته، فإذا انفرطت وتبددت هذه الحبات لا يكون غير خيط زهيد (٣).

وأىضا كتاب جوامع الحكايات ولوامع الروايات لسديد الدين أو نور الدين محمد بن محمد بن يحيى بن طاهر بن عثمان العوفى البخارى و الذى يعتبر من أهم مؤلفاته؛ لما تضمنه من فوائد أدبية لا توجد فى غيره (٤). يحتوى هذا الكتاب على أربعة أقسام، كل قسم منها به خمسة وعشرون بابا كتبه العوفى بأسلوب جيد وعبارة واضحة. القسم الأول حكايات عن أشخاص أسطوريين وتاريخيين وطبقات متفرقة من رجال الحكم والعلماء والشعراء. القسم الثانى حكايات قصيرة فى بيان الفضائل الإنسانية. القسم

(١) الراوندى: راحة الصدور، ص ٢٩٤. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد دوم،

ص ٩. ذبيح الله صفا: دور نمایی از فرهنگ ایرانى، ص ١٢٥.

(٢) الظهيرى السمرقندى: سندباد نامہ، ص ٥، ٧.

(٣) الظهيرى السمرقندى: المصدر نفسه، ص ١٧.

(٤) أمين عبد المجيد بدوى: القصة فى الأدب الفارسى، ص ٣٦٠، ٣٦١. كراتشكوفسكى:

تاريخ الأدب الجغرافى العربى، ص ٣٥٤، ٣٥٥.

الثالث حكايات تمثل الرذائل الأدبية. القسم الرابع موضوعات متفرقة من قبيل الأدعية التي يدعوها الغريب لتصونه وتنجيه من المخاطر وحكايات من عجائب الخليفة<sup>(١)</sup>. ويتمى كتاب جوامع الحكايات إلى ذلك الطراز من المجموعات الأدبية الذي انتشر بشكل خاص فى الأدب العربى وبالأخص مجموعة القصص التاريخية واليومية التى يقصد بها النصيحة والموعظة الحسنة وأحيانا الإمتاع<sup>(٢)</sup>.

وبالنسبة للشعر قامت صلة وثيقة بين طائفة من عباقرة الشعر فى مدن الصغد وبلدان العالم الإسلامى، ولاسيما فى موضوعات الشعر، ونخص بالذكر أبو النجيب شهاب الدين عمق البخارى (ت ٥٤٣هـ / ١١٢٩م) أحد أساتذة بلاد ما وراء النهر الذين ذاعت شهرتهم، مدح السلطان سنجر ونال عطاءه. وارتبط بالسلطان خضر خان<sup>(٣)</sup>. وكان عمق يمدح الشاعر رشيدى ويقر بفضلله حتى ارتفع شأن رشيدى لدى السلطان خضر فدبت بينه وبين عمق الوحشة<sup>(٤)</sup>.

وتاج الشعراء السوزنى السمرقندى (ت ٥٦٩هـ / ١١٧٣م) الذى فاقت شهرته أقرانه حتى قيل بأنه لم يسلم شاعر معاصر له من سيف هجائه، وبرع السوزنى فيه إلى الحد الذى نفر منه الجميع<sup>(٥)</sup>. ومن الشعراء الذين عاصروه

(١) أمين عبد المجيد بدوى: القصة فى الأدب الفارسى، ص ٣٦٢.

(٢) كراتشكوفسكى: تاريخ الأدب الجغرافى العربى، ص ٣٥٥.

(٣) دولتشاه: تذكرة الشعراء، ص ٣٧. سعيد نفيسى: تاريخ نظم ونثر در إيران، جلد أول، ص ٩٦. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد دوم، ص ٥٣٧. عبد العظيم رضائى: تاريخ ده هزار ساله ايران جلد سوم، جاب بنجم، ص ١٤٢.

(٤) عبد الحسين زرین كوب: سیرى در شعر فارسى، جاب سوم، ص ٤٦.

(٥) ذبيح الله صفا: تاريخ ادبى و اجتماعى و فرهنگى ایران، ص ١٥٩. عبد الحسين زرین كوب: المرجع نفسه، ص ٤٧، ٤٨. محمد كامتار يارسى: رباعى و رباعى سرايان از آغاز تا قرن هشتم هجرى، ص ١١٧، ١١٨. محمد محبوب: سبك خراسانى در شعر فارسى، ص ٦٣٥، ٦٣٦.

وتبادل معهم الهجاء عمق البخارى (ت ٥٤٣هـ / ١١٤٨م) والانورى (ت ٥٨٠هـ / ١١٨٤م) ورشيد الدين الوطواط (ت ٥٥٦هـ / ١١٦٠م) ومعزى (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م) وأديب صابر (ت ٥٣٨هـ / ١١٤٣م) وعلى شطرنجى ونظامى عروضى سمرقندى، وقد سبب الأذى لهم جميعا بلسانه الحاد<sup>(١)</sup>.

وأبو بكر محمد بن على روحانى السمرقندى من أشهر شعراء القرن السادس الهجرى، كان من تلاميذ رشيدى السمرقندى، ومن سار على طريقته<sup>(٢)</sup>. وكريمى سمرقندى من شعراء أواخر القرن السادس الهجرى بسمرقند وخراسان، وكان ذا فضل وكمال وله أشعار قيمة، وحصل على ثروة ضخمة من قوله الشعر، وكانت له رحلة واسعة، وطاف البلاد وذهب إلى سجستان<sup>(٣)</sup>. والانورى أوحده الدين محمد بن عبد الملك (ت ٥٨٣هـ / ١١٨٧م) من أعظم شعراء الفرس، بلغ بقصيدة المدح الفارسية أقصى قدرته<sup>(٤)</sup>، ونظم الأنورى قصيدة بناء على طلب أهالى خراسان ووجهها إلى أمير سمرقند محمود بن أرسلان خان الذى كان يتولى حكم سمرقند وقت معركة الغز مع السلطان سنجر سنة ٥٤٨هـ / ١١٥٣م<sup>(٥)</sup>.

وسيد معين الدين أشرف السمرقندى (ت ٥٩٥هـ / ١١٩٨م) من أشهر الشعراء فى سمرقند، قام بمدح الملك بيغو وصحبه إلى العراق ثم رحل إلى أصفهان وكان مرتبطا بالشعراء المعاصرين له، ثم سلك طريقه إلى السلطان

---

(١) هدايت: مجمع الفصحاء، ج١، ص ٢٤٩. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در ايران، جلد دوم، ص ٦٢٢

(٢) ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در ايران، جلد دوم، ص ٦١١.

(٣) محمد عوفى: لباب الألباب، ص ٥٠٥. هدايت: مجمع الفصحاء، ج١، ص ٤٨١.

(٤) محمد غنيمى هلال: مختارات من الشعر الفارسى، ص ١٦٠، ١٥٩.

Claud Field, Persian Literature, pp97,98.

(٥) محمد محمود إدريس: السلطان سنجر، ص ٩٠.

طغرلبك السلجوقي آخر سلاطين السلاجقة في العراق، وما لبث أن عاد إلى سمرقند ومات بها<sup>(١)</sup>. وإلى هؤلاء الشعراء يرجع الأثر البالغ في قيام النهضة الثقافية في الدولة الإسلامية

### ٣ - إسهامات علماء مدن الصغد في علم الكلام:

قدم علماء الصغد إسهامات قيمة في علم الكلام في وقت كانت الحاجة فيه ماسة إلى تعزيز قواعد الدين من جديد على ضوء الفلسفة الشائعة إبان القرن الرابع للهجرة، واضطلع بهذا الأمر رجلان كان لهما الفضل في تأسيس علم الكلام. وهما أبو الحسن الأشعري الشافعي من بغداد (ت ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م)، وأبو منصور الماتريدي الحنفي من سمرقند (ت ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م)<sup>(٢)</sup>.

ويعد أبو منصور الماتريدي المؤسس للاتجاه الكلامي في المذهب الحنفي في بلاد ما وراء النهر، وتلقى على يده الكثير من التلاميذ والأتباع وامتد آثاره في أنحاء عديدة من البلاد الإسلامية، وانتشر مذهب الماتريدي مواكبا انتشار المذهب الحنفي، وكان على هذا المذهب جميع بلاد ما وراء النهر إلى أقصى ثغور الترك ومرو وبلخ<sup>(٣)</sup>.

كان للماتريدي تلاميذه وأتباعه الذين عملوا على نصرته مذهب<sup>(٤)</sup>. ومن أعلام المدرسة الماتريدية صدر الإسلام أبو اليسر محمد بن الحسين بن عبد الكريم البزدوى (ت ٤٩٣هـ/ ١١٠٠م) قاضي سمرقند، وله مؤلفات كثيرة قيمة من أهمها "كتاب أصول الدين" وهو يضم مختلف النظريات والآراء

(١) سعيد نفيسي: تاريخ نظم ونثر در إيران، جلد أول، ص ٨٧.

(٢) أحمد محمود صبحي: في علم الكلام، ج ١، ص ٤٠٧، ٤٠٨.

Ignace Goldziher, A short History of Classical Literature, p53.

(٣) علي عبد الفتاح المغربي: الفرق الكلامية الإسلامية، ص ٣٤١، ٣٤٣.

(٤) عبد المجيد أبو المرح بدوي: القصة في الأدب الفارسي، ص ١١١

الكلامية، ويعبر عن المذهب الماتريدي ويتعرض لكل الآراء المتشعبة للتعاليم الدينية منذ بدء الخلاف في هذه الآراء في الإسلام حتى العصر الذي عاش فيه المؤلف، ولقد اعتمد البزدوى على آراء الماتريدي الكلامية، وذكرها فى كثير من المسائل وكان يعد دائما رأى الصحيح المعبر عن آراء أهل السنة والجماعة<sup>(١)</sup>.

وينقسم كتاب أصول الدين فى مجموعه إلى ثلاثة أجزاء: الجزء الأول ويحتوى على مقدمة تشمل على استعراض مختصر لعلماء الفقه المسلمين ومؤلفاتهم، ويتبع ذلك فى الجزء الثانى دراسة الأصول الدينية، ويتلوه فى الجزء الثالث تفسير للمذاهب الإسلامية وتفرعاتها، وهو كتاب علمى يشمل أسس العقيدة عند أهل السنة<sup>(٢)</sup>. وقد فاقت شهرة البزدوى عن طريق تلاميذه شهرته بمؤلفاته. وأشاد بعلمه كل من كتبوا عنه أو عاصروه وقال عمر النسفى فى كتابه القند: "وكان شيخ أصحابنا بما وراء النهر، وكان إمام الأئمة على الإطلاق، والموفود إليه من الآفاق، ملأ الشرق والغرب بتصانيفه فى الأصول والفروع"<sup>(٣)</sup>.

#### ٤ - إسهامات العلماء فى مدن الصغد فى علم التاريخ:

يعد أبو العباس جعفر بن محمد بن المعتز بن محمد المستغفرى السمرقندى (ت ٤٣٢هـ / ١٠٤٠م) من أبرز العلماء فى هذا العصر رحل فى طلب العلم إلى خراسان وأقام بسرخس ومرو مدة، وصنف التصانيف العديدة منها: معرفة الصحابة، وكتاب الخطب النبوية، وكتساب دلائل النبوة<sup>(٤)</sup>،

(١) على عبد الفتاح المغربى: الفرق الكلامية الإسلامية، ص ٣٤٣.

(٢) البزدوى: كتاب أصول الدين، ص ٥.

(٣) طاش كبرى زاده: طبقات الفقهاء، ص ٨٦. القرشى: الجواهر المضية، ج ٤، ص ٩٩.

(٤) السمعانى: التحبير فى المعجم الكبير، ج ٢، ص ١٤٧.

وكتاب تاريخ سمرقند، وكتاب تاريخ NSF الذي يقع في مجلدين كبيرين<sup>(١)</sup>. وأبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر الأشعث السمرقندي (ت ٥٣٦هـ/ ١١٤٢م) كان من أبرز المؤرخين، عارفا بالرجال، من آثاره كتاب من فضائل العباس بن عبد المطلب<sup>(٢)</sup> وكتاب معجم الشيوخ<sup>(٣)</sup>. وأبو حفص عمر بن محمد بن أحمد ابن إسماعيل بن لقمان النسفي السمرقندي (ت ٥٣٧هـ/ ١١٤٣م) كان من كبار المؤرخين، صنف التصانيف الكثيرة ومنها: كتاب تعداد الشيوخ لعمر مستطرف على الحروف، جمع فيه شيوخه وهم خمسمائة وخمسون شيخا<sup>(٤)</sup>، وكتاب الإجازات المترجمة بالحروف المعجمة، وهذا الكتاب مخصص لمن أخذ عنهم إجازة في الرواية، ويعد كتاب القند في ذكر علماء سمرقند من أجل مؤلفاته<sup>(٥)</sup>. وقد أختصر هذا الكتاب تلميذه، أبو الفضل محمد ابن عبد الجليل بن عبد الملك بن علي بن حيدر السمرقندي المؤرخ، وسماه "منتخب القند في تاريخ سمرقند"<sup>(٦)</sup> وكان معظم الكتاب تشغله الأحاديث النبوية وسير الأولياء والكلام على أضرحتهم، مع إشارات وافية عن أوقات زيارتها وما يرتبط بذلك من شعائر<sup>(٧)</sup>.

(١) النسفي: القند في ذكر علماء سمرقند، ص ١٧.

(٢) ابن الصلاح الشهرزوري: طبقات فقهاء الشافعية، ج ١، ص ٤٢٦.

(٣) العسقلاني: لسان الميزان، ج ٦، ص ٢٧٦، ٢٧٧.

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣٦، ص ٤٤٨، ٤٤٧. العسقلاني: المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣٢٧. ابن قطلوبغا: تاج التراجم، ص ١٦٣.

(٥) النسفي: القند في ذكر علماء سمرقند، ص ١٥-١٧.

Paul, The Histories of Samarqand, p70-72

(٦) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ١٣٥٦. السيوطي: بغية الوعاة، ج ٢،

ص ٤٠. عمر رضا كحاله: معجم مصنفى الكتب العربية فى التاريخ والتراجم والجغرافية

والرحلات، ص ٥٠٦.

(٧) بارتولد: تركستان، ص ٢٩.

والإمام الحافظ تاج الإسلام أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني التميمي المروزي (ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م) كان من أشهر أئمة المسلمين في علوم كثيرة قطع المسافات والآفاق والتقى بالعلماء، وكان وافر الهمة في طلب العلم، شديد الحرص على لقاء المشايخ. وتلقى أبو سعد علوم الحديث، وشتات المعرفة على عدد كبير من المشايخ<sup>(١)</sup> واتسعت رحلته فعمت بلاد خراسان والعراق والحجاز والشام وطبرستان وبلاد ما وراء النهر ودخل سمرقند وأخذ الكثير عن مشايخها<sup>(٢)</sup>.

ملأ أبو سعد صفحات كثيرة من مؤلفات ضخمة بتراجم شيوخه، منها: كتاب العوالي، في اثنين وثلاثين جزءا خرج له لولده أبي المظفر عبد الرحيم<sup>(٣)</sup> وكتاب المعجم، في ثمانية عشر جزءا خرج له لولده أبي المظفر عبد الرحيم أيضا<sup>(٤)</sup>، كما جمع لنفسه معجما آخر لشيوخه، يضاف إلى ذلك أنه ذكر عددا كبيرا من مشايخه الآخرين في مؤلفات غيرها مثل الذيل على تاريخ بغداد، وتاريخ مرو، وكتاب الهداية، وكتاب التحجير في المعجم الكبير، وكتاب مقام العلماء بين يدي الأمراء<sup>(٥)</sup> وكتاب الأنساب الذي لخصه ابن الأثير في كتابه اللباب في تهذيب الأنساب<sup>(٦)</sup> كما اختصره السيوطي بعنوان لب الألباب في تحرير الأنساب<sup>(٧)</sup>.

(١) البخارى: التاج المكلل، ص ٧٦.

(٢) السمعاني: الأنساب، ج ١، ص ١١. السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٧، ص ١٨٠، ١٨١.

(٣) السمعاني: المصدر نفسه، ج ١، ص ٢١.

(٤) البخارى: التاج المكلل، ص ٧٦.

(٥) السمعاني: الأنساب، ج ١، ص ١١، ١٢.

(٦) سراج الدين أبو حفص المصري: طبقات الأولياء، ص ٤٠.

(٧) أحمد رمضان أحمد: الرحلة والرحالة المسلمون، ص ٢٦٨.

شرح السمعاني بجمع كتاب الأنساب في سمرقند سنة (٥٥٠هـ/ ١١٥٥م)<sup>(١)</sup> بناء على رغبة عمر بن علي البسطامي الذي قابله فيها. وجمع فيه بضعة آلاف من التراجم مرتبة على حروف المعجم، ونسب كل واحد منها إلى بلد أو قبيلة أو صناعة أو تجارة أو غير ذلك، فكان يضبط حروف النسبة ويشرحها، ولا مرأ أن أبا سعد بذل قصارى جهده في معجمه لاستقصاء الأنساب التي اشتهرت بها جماعة العلماء والشيوخ وغيرهم من الشخصيات التي خلفت أثرها في الإسلام<sup>(٢)</sup>. أما عن الأسلوب الذي اتبعه في كتابه الأنساب فإنه يثبت تطور الفكر التاريخي والتواصل الثقافي عند مؤرخي المسلمين في العصور الوسطى، وذلك بإعطائه فكرة واضحة عن الأشخاص ويشرح معاني الأنساب ويشتمل كلامه على الأسماء التي في مدن الصفد وبلاد ما وراء النهر خاصة على مادة هامة<sup>(٣)</sup>.

## ٥ - إسهامات علماء الصفد في العلوم التطبيقية:

### علم الفلك

ساهم العلماء المسلمون في مدن الصفد مساهمة فعالة وكانوا روادا في علم الفلك، وكان نظامي عروضي السمرقندي من أكبر هؤلاء الرواد، له كتاب صديباب - مائة موضوع - كما ينسب إليه رسالة في الاسطرلاب<sup>(٤)</sup>. وشمس الدين محمد بن أشرف الحسيني السمرقندي (ت ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م) كان من كبار علماء الفلك، ومن تصانيفه كتاب الصحائف الإلهية، وكتاب

(١) منيرة ناجي سالم: تاج الإسلام أبو سعد السمعاني وكتابه التهجير في المعجم الكبير، ص ٢٦٥.

(٢) أحمد رمضان أحمد: المرجع نفسه، ص ٢٦٦، ٢٦٨. بارتولد: تركستان، ص ١٠٤. زكي محمد حسن: الرحالة المسامون في العصور الوسطى، ص ٦٨.

(٣) أحمد رمضان أحمد: المرجع نفسه، ص ٢٦٦، ٢٦٨.

(٤) العروضي السمرقندي: جهاز مقاله، ص ١٥١.

الفسطاط، وكتاب في آداب البحث<sup>(١)</sup>، فضلا عن أبو حامد ركن الدين العميدى السمرقندى (ت ٦١٥هـ / ١٢١٨م) كان من كبار المهتمين بعلم الفلك، له مصنفات قيمة منها رسالة في الأعمال السحرية<sup>(٢)</sup>.

## الرياضيات

أسهم علماء الصغد مساهمة فعالة في علم الرياضيات في شتى بلدان العالم وكان شمس الدين أشرف الحسينى السمرقندى (ت ٦٠٠هـ / ١٢٠٣م) من كبار رياضى ومهندسى بلاد ما وراء النهر، وهو صاحب كتاب أشكال التأسيس فى الهندسة<sup>(٣)</sup> وهى خمسة وثلاثون شكلا من كتاب اقليدس، يتناول السمرقندى فى كتابه أشكال التأسيس، الخمسة الأخيرة من كتاب الأصول لاقليدس<sup>(٤)</sup> خاصة بسطوح الأعداد، والأولى من أول الكتاب. ويمهد لكل ذلك بمقدمة مطولة يبرر بها إقدامه على التحرير فى هذا الموضوع، ويقدم فى مقدمات اقليدس ومن قلده فيها، كما يطعن " فىمن سماهم السادة من مخالفه".

ولم يكتف السمرقندى بأنه نقل فى كتابه خمسة وثلاثين شكلا من كتاب الأصول لاقليدس، بل تصرف فى المادة المنقولة بترتيبها ترتيبا مختلفا عن ترتيب اقليدس، وبإبرازه لقضايا هامة فى الهندسة، وبالبراهين التى قدمها

---

(١) ابن الجوزى: أعمار الأعيان، ص ٢٠. شمس الدين السمرقندى: أشكال التأسيس، ص ١٧.

(٢) عبد الله رازى: تاريخ كامل إيران، ص ٢٢٥.

(٣) ابن الجوزى: المصدر نفسه، ص ٢٠. إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين، ج ٢، ص ١٠٦. عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مع ٣، ص ١٣٦. قدرى حافظ طوقان: تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك، ص ٤٢٨.

(٤) حاجى خليفة: كشف الظنون، مع ١، ص ١٠٥. حكمت نجيب عبد الرحمن: دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب، ص ١٦٣. قدرى حافظ طوقان: تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك، ص ٤٢٨.

عنها فشرح أشكال التأسيس . ويبدو كتابا تضافرت في إكمال مادته وأحكام صورته جهود علماء اختلفت عصورهم وبلدانهم واتفقوا في تقديرهم للهندسة وفي اعتبار منزلتها بين العلوم، فإن كان لاقليدس فضل سبق إلى الأصول، فاللسمرقندى مزية الإحياء والتهذيب في الأطوار المختلفة التي مرت بها الحضارة الإسلامية<sup>(١)</sup>. قام بشرح كتاب أشكال التأسيس موسى بن محمد بن محمود الرومى المعروف باسم قاضى زاده عالم بالرياضيات والفلك والحكمة (ت ٩٣١هـ/ ١٥٢٤م)<sup>(٢)</sup> وهو شرح ممزوج لطيف وعليه تعليقات، منه حاشية تلميذه أبى الفتح محمد بن سعيد الحسينى المدعو بتاج الدين السعيدى وحاشية أخرى لفصيح الدين محمد، علقها للأمير على شير الوزير وعلى أوائله تعليق لقاضى زاده أيضا<sup>(٣)</sup>.

وأبو منصور محمد بن سليمان بن قنلمش بن تركانشاه السمرقندى الأصل البغدادي (ت ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م) من كبار العلماء، تجمعت فيه أشتات الفضائل، أخذ من كل فن من العلم بنصيب وافر، وكان له اليد الباسطة فى حل اقليدس وعلم الهندسة<sup>(٤)</sup>. فضلا عن شرف الدين حسين بن حسن السمرقندى (ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م) كان من كبار رواد هذا العلم، فكان من أشهر الرياضيين فى عصره، له مصنفات هامة منها رسالة فى طريق المسائل العددية<sup>(٥)</sup>.

(١) شمس الدين السمرقندى: المصدر نفسه، ص ٥، ٦.

(٢) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج ١، ص ١٠٥. شمس الدين السمرقندى: أشكال التأسيس، ص ١٩.

(٣) حكمت نجيب عبد الرحمن: دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب، ص ١٦٣. قدرى حافظ طوقان: تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك، ص ٤٢٨.

(٤) السيوطى: بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، ج ١، ص ١١٥. المنذرى: التكملة لوفيات المتفلة، مج ٣، ص ٩٨.

(٥) اقا بزرك الطهرانى: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج ٢٠، ص ٣٥٧. زهير حميدان: أعلام الحضارة العربية الإسلامية فى العلوم الاساسية والتطبيقية، مج ٣، ص ٢١٣.

## علم الطب

من أشهر الأطباء الذين ربطوا العالم الإسلامي برباط الثقافة أبو عبد الله شرف الزمان محمد بن يوسف الأيلاقي (ت ٥٣٦هـ / ١١٤١م) قدم سمرقند، وله مؤلفاته قيمة أهمها: كتاب الفصول الإيلاقية في الطب. وهو كتاب قيم ملئ بالشروح العديدة لكتاب القانون لابن سينا<sup>(١)</sup>. وبدر الدين محمد بن بهرام بن محمد القلانسي السمرقندي (٥٩٠هـ / ١١٩٤م) كان مجيدا في صناعة الطب، وله عناية بالنظر في معالجات الأمراض ومداواتها<sup>(٢)</sup>. وأبو المحامد نجيب الدين محمد بن علي بن عمر السمرقندي (ت ٦١٩هـ / ١٢٢٢م) كان من كبار علماء الطب البارعين في عصره معاصرا لفخر الدين الرازي بن الخطيب<sup>(٣)</sup> له مصنفات مشهورة منها كتاب أغذية المرضى، قسمه على حسب ما يحتاج إليه في التغذية لكل واحد من سائر الأمراض، وكتاب الأسباب والعلامات، في الأمراض الجزئية وأسبابها وعلاماتها وعلاجها، جمع فيه جميع العلل والأمراض الجزئية على سبيل الاستقصاء حتى لا يشذ منها علة مع أسبابها وعلاماتها، وأردف كل نوع بعلاج مجمل نقلا من كتب القانون لابن سينا ومن المعالجات البقرائية<sup>(٤)</sup>، وله أيضا رسالة في مداواة وجع المفاصل، ومقالة في كيفية تركيب طبقات

---

(١) ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد دوم، ص ٣١٤. الزركلي: الاعلام، ج٧، ص ١٤٩.

(٢) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج٣، ص ٤٧. العطار الهاروني: منهاج الدكان ودستور الأعيان في أعمال وتركيب الأدوية النافعة للأبدان، ص ١١١.

(٣) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج٣، ص ٤٧. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٤، ص ١٨٤. شوكت الشطبي: اللب في الإسلام والطب، ص ٣١٧.

(٤) ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه، ج٣، ص ٤٧. حاجي خليفة: كشف الظنون، مج ١، ص ٧٧. أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، ج٣، ص ٤٩٦.

العين، وكتاب الإرشاد في الطب النافع لجميع الأمراض، وكتاب الأغذية والأشربة للأصحاء، وكتاب الأغذية والأشربة للمرضى، وكتاب كامل الصناعة<sup>(١)</sup>.

## علم الصيدلة

أما عن أبرز الإسهامات في هذا المجال فكانت على يد بدر الدين محمد بن بهرام بن محمد القلانسي السمرقندي (ت ٥٩٠هـ / ١١٩٤م) الذي يعد من كبار الصيادلة في عصره، له عناية بالغة بالنظر في معالجة الأمراض ومداواتها، وله كتاب الأقرباذين<sup>(٢)</sup> وهو تسعة وأربعون باباً، استوعب فيه ذكر ما يحتاج إليه من الأدوية المركبة، وجمع أكثر ذلك من الكتب المعتمد عليها كثيراً، مثل: القانون لابن سينا، والحاوي، والمنصوري للرازي، والكامل لعلي بن العباس المجوسى، والذخيرة لثابت بن قره، والكفاية<sup>(٣)</sup>.

يعتبر أقرباذين القلانسي من الناحية الصيدلانية من أكمل ما كتب في موضوعه بجميع اللغات حتى القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى. ولم يتقيد القلانسي السمرقندي بضم الأدوية المركبة فقط في كتابة، بل خصص عدداً من الأبواب في مقدمة كتابه للكلام عن تهيئة وفحص وحفظ المواد الأولية المستعملة في تحضير الأدوية المركبة وذلك اعتقاداً منه أن ذلك يعتبر من الأعمال الأساسية التي يجب أن يقوم بها الصيدلى قبل البدء

---

(١) إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين، ج٢، ص ١١٠. الزركلى: الأعلام، ج٦،

ص ٢٨٠. عمر رضا كحاله: المستدرك على معجم المؤلفين، ط٢، ص ٧٠٨، ٧٠٩.

(٢) العطار الهارونى: منهاج الدكان ودستور الأعيان في أعمال وتراكيب الأدوية النافعة للأبدان، ص ١١١.

(٣) ابن أبى أصيبعة: المصدر نفسه، ج٣، ص ٤٧. الصنفدى: الوافى بالوفيات، ج٢،

ص ٢٧٣. القلانسي السمرقندي: اقرباذين القلانسي، ص ٨.

بتحضير الدواء المركب<sup>(١)</sup>. أما بقية الأبواب فقد خصص منها عشرين بابا للكلام عن الأشكال الصيدلية المعروفة، بالإضافة إلى أربعة أبواب تكلم فيها عن أدوية الرعاف - أدوية القيء - أدوية الزينة علاج من شرب السموم، وجملة هذه الأبواب تشابه ما ورد في اقرباذين كل من سابور وابن التلميذ<sup>(٢)</sup>.

وأبو المحامد نجيب الدين محمد بن على بن عمر السمرقندى (ت ٦١٩هـ/ ١٢٢٢م) من كبار علماء الطب والصيدلة، له مؤلفات كثيرة واهتم بالأدوية المركبة، ووضع فيها كتابه أصول تركيب الأدوية، وفيه بين أسباب وضرورات تركيب الأدوية وعدم تقديمها مفردة، ويستعرض مع الشرح صنوف الأدوية من أشربة ومعجونات وجبوب ومطبوخات وحقن وأضمدة وأظلية وغراغر ومربيات وأدوية للشعر، وهو يسوق لنا في كتابه طرق التحضير وأوران ونسب العقاقير والمواد المستخدمة فى التركيب، وأهم ما يلفت النظر فى هذا الكتاب هو عناية السمرقندى فيه بالتجربة والقياس على التجارب السابقة للوصول إلى الاستعمالات المأمونة<sup>(٣)</sup>، ومن مؤلفاته أيضا كتاب إبدال الأدوية، وكتاب الإبدال من المعاجين والأقراص، والأدوية المفردة، وكتاب أدوية القلب وما يتعلق به، وكتاب الأدوية المفردة المستعملة وخواصها وأفعالها<sup>(٤)</sup> وكتاب اقرباذين السمرقندى ويتألف هذا الكتاب من

(١) القلانسى السمرقندى: اقرباذين القلانسى، ص ٩.

(٢) القلانسى السمرقندى: المصدر نفسه، ص ١٠.

(٣) عبد الفتاح مصطفى غنيمه: ميادين الحضارة العربية الإسلامية وأثارها فى الحضارة الإنسانية، ج ٢، ص ١٨٩. محمد غريب جودة: عباقرة علماء الحضارة العربية والإسلامية فى العلوم الطبيعية والطب، ص ٣١٠، ٣١١.

(٤) عمر رضا كحالة: المستدرك على معجم المؤلفين، ص ٧٠٨. كوركيس عواد: مصادر النباتات الطبية عند العرب، ص ٩٢. صلاح الدين المنجد: مصادر جديدة عن تاريخ الطب عند العرب، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج ٥، ج ١، ١٩٥٩، ص ٣٠٤-٣٠٦.

عشرين بابا، صنفت فيه الأدوية على ترتيب العلل<sup>(١)</sup>. ويعتبر هذا الاقرباذين نموذجاً لكتب الوصفات الطبية المعروفة في الوقت الحاضر<sup>(٢)</sup>.

## علم الكيمياء

كان لعلماء مدن الصغد الفضل في تطور علم الكيمياء من الأبحاث النظرية إلى التطبيقات العملية، حيث كان تطبيق علم الكيمياء في الصيدلة من أهم الفوائد التي حققها هؤلاء العلماء<sup>(٣)</sup> فقد عرفوا أسرار المداواة بالعقاقير الطبية من نباتية وحيوانية ومعديّة. واكتشفوا عددا كبيرا من النباتات الطبية والعطرية واستخدموها كأدوية مفردة أو في تركيب الأدوية المركبة، وظلت العقاقير الطبية أساس العلاج<sup>(٤)</sup> وادخلوا في الطب استعمال السنا المكي والكافور والمسك وجوز الطيب والقرفة وغيرها، وهم الذين اخترعوا الأشربة والكحول والخلاصات العطرية<sup>(٥)</sup>.

جمع القلانسي السمرقندي في الأبواب الأربعة عشر الأولى من كتابه اقرباذين القلانسي كل ما قيل عن التقاط وادخار العقاقير النباتية وتحضير الأدوية المفردة المعدنية من غسل وإحراق وقلّي وتكليس وشي، ثم أتبعها الكلام عن تحضير بعض الأدوية المهيأة كعمل الأدهان الطبية واستخراج الأدهان النباتية وغسلها، وطبخ السرطانات واستخراج عسل البلاذر ولبن الشبرم. ودخان الكندر، وتحضير ماء الجبن وتطرية العود، وإصلاح الدبق

---

(١) Martin Levey, Early Arabic Pharmacology, p35.

(٢) القلانسي السمرقندي: المصدر نفسه، ص ٧.

(٣) عبد العزيز عبد الرحمن: تاريخ الطب والصيدلة والكيمياء، ص ٢٦٨. ماهر عبد القادر محمد: دراسات وشخصيات في تاريخ الطب العربي، ص ٤٦٨.

(٤) محمد غريب جودة: عباقرة علماء الحضارة العربية والإسلامية، ص ٣٢.

(٥) شوكت الشطبي: اللب في الإسلام والطب، ص ٢٤١، ٢٤٢.

والذرائح وغيرها. إن مجموع هذه الأبحاث يعتبر النواة الرئيسية لعلم حديث ظهر في أوربا في نهاية عصر النهضة، وهو علم الكيمياء الصيدلانية<sup>(١)</sup>.

## التأثيرات الفنية

### أولاً، أثر الفنون الصفدية على العالم الإسلامي

لم يكن الفن الإسلامي في الصفد في أية فترة من تاريخه فنا راكدا أو جامدا أو منعزلا، بل كان دائم الاتصال بالفنون الأخرى في الشرق والغرب مما أدى إلى تطوره، وبفضل العلاقات المختلفة التي قامت بين مدن إقليم الصفد والشرق الأقصى تبادل الفن الإسلامي التأثير مع فنون الشرق الأقصى بعامة وفنون الصين بخاصة<sup>(٢)</sup>.

#### ١ - أثر سمرقند في ازدهار صناعة الورق:

أسهم الورق إسهاما كبيرا في حفظ الحضارة وتطورها، فهو من أهم العوامل الداعمة لها، كما كان له أثره الواضح على اتساع دائرة التأليف والتصنيف، وأحد الوسائل المهمة في نقل الأفكار والعلوم والمعرفة الإنسانية والعقائد الدينية<sup>(٣)</sup>. وكانت سمرقند أكبر مركز لصناعته<sup>(٤)</sup> ويحدثنا الثعالبي

(١) القلانسي السمرقندي: اقرباذين القلانسي، ص ١٠.

(٢) بدر الدين حى الصينى: العلاقات بين العرب والصين، ص ١٢٣. حسن الباشا: موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، مج ١، ص ١٠٢، ١٠٣.

Basil Gray , Persian Influence on Chinese Art from the Eighth to Fifteenth Centuries Iran ,Journal of the British Institute of Persian Studies ,vol.1 , p14. Shishkina , Ancient Samarkand, Capital of Soghad, Bulletin of the Asia Institute, vol,8, 1994, p93.

(٣) أحمد سعيد عبد الله: تاريخ التدوين ومواد الكتابة، ص ١٤١.

(٤) أبو بكر الخوارزمي: رسائل أبي بكر الخوارزمي، ص ١٧٥. القزويني: آثار البلاد وأخبار

العباد، ص ٥٣٦. محمد حسن العبادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ١٣٧

"أن كواغيد سمرقند عطلت قرطيس مصر، والجلود التي كان الأوائل يكتبون فيها، لأنها أحسن وأنعم وأرفق وأوفق ولا تكون إلا بها وبالصين"<sup>(١)</sup>.

وقد دخلت صناعة الورق سمرقند بتأثير صيني فيذكر معظم المؤرخين أن معرفة العرب بالورق الصيني كانت بعد أن امتدت فتوح المسلمين إلى بلاد ما وراء النهر حتى وصلت حدود الصين، مما جعل وجود الاحتكاكات والمنافسات ما بين الصينيين والحامية الإسلامية أمراً طبيعياً، وكان من اثر ذلك أن ظفر المسلمون ببعض الأسرى الصينيين ممن خبروا صناعة الورق وعرفوا أسرارها، وكان هؤلاء الأسرى هم النواة التي كانت على أساسها صناعة الكاغد أو الورق الصيني في سمرقند<sup>(٢)</sup>.

بعد انتقال سر صناعة الورق إلى سمرقند من الصين<sup>(٣)</sup> ناله على أيدي العرب التغيير الهام الذي يعتبر حادثاً هاماً في تاريخ العالم، فقام المسلمون بتنقيته مما كان يستعمل في صناعته من ورق التوت ومن الغاب الهندي<sup>(٤)</sup>، وصنعوا الورق من القطن والخرق لتوفره وانتشاره<sup>(٥)</sup>. وهنا يبرز دور الإبداع والابتكار في العقلية العربية التي لم تنقل دون تجديد وإبداع بل أضافوا أسسا

---

(١) الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص ٥٤٣. الغرناطي: تحفة الألباب ونخبة

الإعجاب، ص ٣٩. عصام الدين عبد الرؤف الفقى: الحواضر الإسلامية، ص ٢٤١

(٢) هالة شاكر عبد الرحمن: الورق والوراقون في العصر العباسي، ص ١٠٤.

Boyle, The Saljuq and Mongol Periods, the Cambridge History of Iran, p146

Gerrit Parmele, A History of Civilization, p116. Gavin Hambly, Central Asia p68.. (٣)

(٤) آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج ٢، ص ٣٦٦. عبد الله بن العباس الجرارى: تقدم العرب

في العلوم والصناعات، ص ٢١٣.

(٥) حسن جبر: أسس الحضارة العربية الإسلامية، ص ١٩٤ سعيد عبد الفتاح عاشور: فضل

العرب على الحضارة الأوربية، ص ٧٦. محمد عادل عبد العزيز: الحضارة الإسلامية

وعوامل الازدهار في تداعيات الانهيار، ص ٢٥٩.

جديدة فى صناعته أعطت للورق صفات متميزة<sup>(١)</sup>، وظلت سمرقند وقتا طويلا المدينة الهامة المنتجة للورق الجيد<sup>(٢)</sup>، وأصبحت منذ تركزت فيها صناعة الكاغد من المدن ذات الشأن الكبير فى أنحاء البلاد الإسلامية، وتستحق ما نعتها به الاصطخرى بأنها فرضة بلاد ما وراء النهر ومجمع التجارات<sup>(٣)</sup> خاصة أن ما اشتهرت به من الورق لا نظير له<sup>(٤)</sup>.

وسرعان ما اتسعت دائرة إنتاج الكاغد وتصنيعه فلم يعد قاصرا فقط على سمرقند، بل تعددت مراكز تصنيعه وانتشرت فى أنحاء العالم الإسلامى<sup>(٥)</sup>. مما كان له عظيم الأثر فى التواصل الفكرى والتفاعل الثقافى بين العلماء خلال فترة البحث.

## ٢ - إسهامات علماء مدن الصغد فى علم الموسيقى

وتعد أبرز الإسهامات التى قدمها علماء الصغد فى علم الموسيقى تلك التى قدمها أبو حكيم بن الأحوص السغدى (ت ٣٠٠هـ / ٩١٢م) حيث كان له مهارة تامة فى صناعة الموسيقى، وإليه يرجع الفضل فى اختراع آلة أشبه بالعود لكن على سطحها عشرة أوتار وهى آلة الشهرود، وكان ذا يد طولى

(١) أسامة النقشبندى: موسوعة الورق والكاغد، حضارة العراق، ج٩، ص٤٤٣.

(٢) Annemarie Schimmel, Calligraphy and Islamic Culture, p14. Vladimir Minorsky, (٢) The Turks Iran and the Caucasus in the Middle Ages, p282.

(٣) الاصطخرى: المسالك والممالك، ص١٧٨.

(٤) مرتضى راوندى: تاريخ اجتماعى ايران، بخش دوم، جلد هشتم، ص١٠٣.

(٥) محمد حسنى عبد الوهاب: البردى والرق والكاغد فى افريقية التونسية، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج٢، ج١، ١٩٥٦، ص٤٥.

Parter, The Art of Book Making the Splendour of Iran Islamic Period, p14. Sedgwick and Tyler, A Short History of Science, p196. Skhuda Bukhsh, the Arab Civilization, p77.

في الشعر<sup>(١)</sup>. وعبد الله الرودكي السمرقندي (ت ٣٣١هـ / ٩٤٢م) مضرب المثل في الشعر والحظوة عند الملوك، نبغ في الموسيقى وكان حسن الصوت يجيد التلحين واشتغل بالإطراب وتعلم العزف على البربط حتى قيل إن اسمه مشتق من "رود" بمعنى: وتر القيثارة، وكان يرتجل الشعر أثناء الغناء<sup>(٢)</sup>. كما كانت فردوس المطربة السمرقندية من أشهر المطربين في عصرها ذات ألحان ثمينة سمت أستاذها رشيد الدين الوطواط، اصطحبها السلطان محمد خوارزمشاه في حربه التي قام بها ضد الغورين. فأنشدت فردوس أحوال تلك الحرب التي تشيد فيها بشجاعة السلطان محمد وضعف خصمه<sup>(٣)</sup>.

## ثانياً: التأثيرات الفنية على الفنون الصغدية

### ١ - التأثير الصيني على الفنون في الصغد:

اشتهرت سمرقند بصناعة مختلف أنواع الخزف وابتكر صناعاتها أساليب جديدة في زخرفة الخزف، وكانت ابتكاراتهم على جانب كبير من التنوع، وقد تأثروا إلى حد كبير بالخزف الصيني<sup>(٤)</sup>. ولعل التأثير الكبير بالخزف الصيني في مدن الصغد يرجع إلى وقوع تلك المدن على طريق الحرير العظيم، وما ترتب عليه من وجود علاقات تجارية مع الصين، حيث أثبتت الدراسات الحديثة أن الصين كانت تورد الخزف الصيني إلى مدن الصغد وسائر البلاد

(١) أحمد أمين وزكي نجيب محمود: قصة الأدب في العالم في الأدب القديم وأدب العصور الوسطى، ج١، ص ٤٥١. إسماعيل عبد الهادي قنديل: فنون الشعر الفارسي، ص ٣٣. حسن مشحون: تاريخ موسيقى إيران، ص ١٥٥.

(٢) براون: تاريخ الأدب في إيران، ص ٥٤. حسين مجيب المصري: أثر الفرس في حضارة الإسلام، مج ١، ص ١٧١. رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسي، ص ٢٩، ٢٨.

(٣) اسفزارى: روضات الجنات في أوصاف مدينة هرات، ص ٣٩٧، ٣٩٨. حمد الله المستوفي القزويني: تاريخ كزیده، ص ٥٩.

(٤) Mitsukuni Yashida, In Search of Persian Pottery, p124.

الإسلامية، ومن ثم كان من الطبيعي وجود الأواني الصينية فى أماكن متفرقة فى سمرقند ومدن الصغد<sup>(١)</sup>. هكذا كان لطريق الحرير الفضل فى التواصل الفكرى والفنى بين مدن الصغد والصين ومن ثم انعكاس الفن الصينى على الفن السمرقندى<sup>(٢)</sup>.

كما كان لإقامة بعض الصناع والفنانين من أهل الصين فى سمرقند وخاصة وسط المدينة أثر كبير فى ذلك، وقد جاء ما يؤيد ذلك فى يوميات راهب صينى سافر إلى بلاد ما وراء النهر وقضى فترة فى سمرقند وكتب عنها فقال: "أن الصناع الصينيين كانوا يعيشون هناك فى كل مكان"<sup>(٣)</sup>.

## ٢ - التأثير الفارسى على المنسوجات فى مدن الصغد:

كانت أنوال النسيج فى سمرقند مشهورة فى سائر البلدان الإسلامية، فقد أنتجت هذه الأنوال المنسوجات المفضضة التى اشتهرت بها سمرقند وتدعى (سجمن)<sup>(٤)</sup>، كما اشتهرت أيضا بتصدير المنسوجات الحريرية والقطنية<sup>(٥)</sup>. وتأثرت صناعة النسيج فى مدن الصغد بتيارين مختلفين: الأول ما أفاده الصغديون على يد السلاجقة من الأساليب الصينية بفضل طريق

---

(١) Ludmila Sokolovskaia and Axelle Rougeulle, Stratified Finds of Chinese Porcelain from Pre-Mongol, Samarkand Afrasiab, p95. Edgar Knobloch, Monuments of Central Asia, p40.

(٢) Edgar Knobloch, OP.cit, p40.

(٣) Bretschneider, Medieval Researches from Eastern Asiatic Sources, vol.1, p78.

(٤) رينيه غروسيه: جنكيزخان، ص٢٩١. سعاد ماهر: الفنون الإسلامية، ص٨٩. سعاد ماهر: النسيج الإسلامى، ص٩٣.

(٥) رينيه غروسيه: المرجع نفسه، ص٢٩١.

Serjeant, Islamic Textiles Material from A History up to the Mongol Conquest, p101

الحرير الذى يصل إلى سمرقند<sup>(١)</sup> والتي تتجلى فى دقة رسم النبات والطيور والحيوان، والثانى ما ازدهر من أساليب إسلامية فى استخدام الفروع النباتية والأشرطة عوضاً عن الموضوعات الزخرفية الساسانية<sup>(٢)</sup>.

### ٣ - تأثير صناعة الزجاج المصرية على الصغد:

نجح فنانو الزجاج فى مدن الصغد فى العصر السلجوقى فى الوصول إلى ضرب من الزجاج الأبيض المضغوط يقلدون به البلور الصخرى الذى كان ينتج فى مصر<sup>(٣)</sup>.

### ٤ - التأثير الخرساني على العمارة فى الصغد:

قامت العمارة فى مدن الصغد على أسس عربية راسخة، وتكونت حول محاور إسلامية صحيحة مما يؤكد الترابط الفكرى بين بلدان العالم الإسلامى. ولعل بناء الأضرحة على شكل أبراج أسطوانية أو ذات أضلاع أو على شكل عمائر ذات قباب قد كثر انتشاره، ونشأ هذا الطراز فى خراسان وانتشر منها إلى مدن الصغد وسائر أنحاء الشرق الإسلامى<sup>(٤)</sup>. ومن أقدم الأضرحة فى سمرقند ضريح قثم بن العباس بن عبد المطلب بن عم النبى الذى شيد على

---

(١) بدر الدين حى الصينى: العلاقات بين العرب والصين، ص ١٢٣، ١٢٤.

Hans Bidder, Carpets from Eastern Turkestan, p9. Anne Wardwell, Important Asian Textiles Recently Acquired by the Cleveland Museum of Art, Oriental Art, vol.38, no4, 1992/1993, p247

(٢) زكى محمد حسن: الفنون الإيرانية، ص ٢١٦.

(٣) أحمد كمال الدين حلمى: السلاجقة فى التاريخ والحضارة، ص ٢٤٥. زكى محمد حسن: المرجع نفسه، ص ٢٦٢.

(٤) إباد الصقر: الفنون الإسلامية، ١٩٥. توفيق أحمد عبد الجواد: تاريخ العمارة، ج٢، ص ٣٢٧. صادق نشأت ومصطفى حجازى: صفحات عن إيران، ص ٢٧٧.

هذا الطراز، واجتمعت فيه تقاليد العمارة الإيرانية الراقية مما يتعلق بإنشاء القباب الواسعة<sup>(١)</sup> ولعب هذا الضريح دورا رئيسيا فى حياة مسلمى آسيا الوسطى، وكان محجا للمسلمين لعدة قرون<sup>(٢)</sup>.

## تأثير الحضارة الإسلامية على الغرب الأوروبى

قامت الثقافة الإسلامية بدورها الطليعى خير قيام فى بناء النهضة العلمية العالمية، وقد نقل العلماء المسلمون التراث الاغريقى وغيره من ألوان التراث العلمى الذى تقدم عليهم فى التاريخ، نقلوه إلى اللغة العربية، التى كانت لغة علم وثقافة، فالحضارة الإسلامية أحيت الحضارات القديمة، ووجدتها، وصححت الكثير مما ورد فيها من أخطاء ودس، وبذل المسلمون جهودا مفضية لتطويرها والخروج بها من الإطار النظرى إلى العملى والتطبيقاتى، فقدموا للحضارة البشرية أضعاف ما وصلهم، وليس بصحيح أن دور العرب كان لنقل التراث اليونانى إلى الغرب، فلم يكن العرب فى يوم جسرنا لذلك، والمتبع للحضارات القديمة يجد أنها لا تتعدى نقطة فى بحر الحضارة العربية الإسلامية. ولم يحدث قط أن حجب العرب حضارتهم عن شعب من الشعوب، كما يفعل الغرب اليوم، هذا جزء من أهداف الرسالة الإسلامية لتحقيق الخير والنفع العام والرحمة بالبشرية .

وأثر العلماء المسلمون فى النهضة الأوربية، وكان طابع الثقافة العربية الإسلامية غالبا وواضحا ومؤثرا فى عديد من المجالات العلمية والفكرية

(١) فيتالى نومكين: سمرقند، ص ٢٧.

(٢) آثار الإسلام التاريخية فى الاتحاد السوفيتى، ص ٦.

والثقافية، مثل ابتكار نظام الترقيم والصفور والنظام العشري، ونظرية التطور قبل " داروين " بمئات السنين، والدورة الدموية الصغرى قبل " هارفى " بأربعة قرون، والجاذبية والعلاقة بين الثقل والسرعة والمسافة قبل نيوتن بقرون متطاولة، وقياس سرعة الضوء وتقدير زوايا الانعكاس والانكسار، وتقدير محيط الأرض، وتحديد أبعاد الأجرام السماوية، وابتكار الآلات الفلكية، واكتشاف أعالي البحار، ووضع أسس علم الكيمياء.

ويمكن القول إجمالاً إن الثقافة الإسلامية كانت واسطة العقد بين العلوم والثقافات القديمة وبين النهضة الأوربية؛ فالفكر الإسلامى والثقافة الإسلامية، سلسلة متصلة الحلقات، امتدت من الحضارات القديمة، إلى العصر الإسلامى الذى تأثر علماءه بمن تقدمهم، وأثروا بدورهم فيمن لحقهم من علماء النهضة الأوربية الذين قرأوا أعمال العلماء العرب فى كتبهم المترجمة إلى اللغة اللاتينية واللغات الأوربية.

لقد انتشرت الثقافة الإسلامية فى العالم الغربى، ونهل علماء أوربا من المصادر العربية الإسلامية الأصلية، ووجدوا أنها تراث علمى عظيم، فاشتغلوا بدراسته وتحليله. وكان المسلمون يمثلون العلم الحديث بكل معنى الكلمة، كانوا روادا فى المناهج العلمية الحديثة، وقد اكتسب المثقفون والعلماء فى أوربا من الثقافة الإسلامية، أكثر من مجرد المعلومات، إنهم اكتسبوا العقلية العلمية ذاتها بكل طابعها التجريبى والاستقرائى، بحيث وجد الأوربيون فى التراث الإسلامى وفى الثقافة الإسلامية ضالتهن المنشودة، فعكفوا على نشره.

ففى مجال الطب قضى الإسلام على الكهانة والشعوذة وأمر بالتداوى فى حين كانت أوربا تحرم صناعة الطب لاعتقادهم أن المرض عقاب من الله لا ينبغى للإنسان أن يصرفه عمن يستحقه، وقد انتشر الطب الإسلامى وتطور بسرعة هائلة فكان هناك أطباء ذوو شهرة واسعة. واستفادت أوربا كلها من ازدهار الطب الإسلامى عموماً.

أما أثر المسلمين فى علم الرياضيات فيبدو واضحا سواء فى الحساب أو الهندسة أو الجبر أو حساب المثلثات والمعروف أن المسلمين بنوا معارفهم فى الرياضيات على أساس من علوم اليونانيين والنهود، ثم تقدموا بهذه العلوم وخطوا بها خطوات واسعة نحو الأمام حتى ظهر فى المشرق علماء مبرزون فى العلوم الرياضية مثل الخوارزمى والبتانى وأبو الوفاء البوزجاني والذين أضافوا إلى معلومات اليونان كثيرا من النظريات التى لم تعرفها أوروبا<sup>(١)</sup>. وقد ترجم العرب كتاب إقليدس فى الهندسة وهى الترجمة العربية التى نقلت إلى اللاتينية فى القرن (١٢هـ/١٢م) والتى ظلت تدرس فى الجامعات الأوروبية حتى القرن (١٣هـ/١٩م).

ولكن إذا كان العرب اعتمدوا على معلومات اليونانيين فى أول أمرهم، إلا أنهم لم يلبثوا أن فاقوا أساتذتهم. فقد اهتم علماء المسلمين بالهندسة اهتماما كبيرا، والخطوة الأولى التى اتخذها علماء المسلمين هى ترجمة كتاب إقليدس فى علم الهندسة الذى يسمى بالعربية كتاب الأصول الهندسية أو الأركان الهندسية، وأعقب فترة الترجمة والبداية فى القرن (٣هـ/٩م) مرحلة إبداع من القرن (٤-٩هـ/١٠-١٥م) جرى خلالها تدريجيا شرح الأعمال المترجمة ومناقشتها وتصويبها، فعلى الرغم من أن أساتذة أمثال إقليدس نال احترام ما يبلغ حد التوقير والتبجيل، فإن العلماء فى سمرقند لم يتهيبوا أن يفندوا نتائجهم، بل ويصوبوها فى بعض الحالات. كذلك قدم هؤلاء العلماء إسهامات فذة فى مجال الهندسة النظرية<sup>(٢)</sup>. وتنسب أعظم هذه الأعمال أهمية إلى شمس الدين أشرف الحسينى السمرقندى (ت ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م)

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور: المدنية الإسلامية وأثرها فى الحضارة الأوربية، ص ٩٦، ٩٧.

(٢) دونالد هيل: العلوم والهندسة فى الحضارة الإسلامية، ص ٤٦.

من كبار رياضى ومهندسى بلاد ما وراء النهر، وهو صاحب كتاب أشكال التأسيس فى الهندسة<sup>(١)</sup>.

أما عن الكيمياء فقد ارتقى المسلمون بهذا العلم، حتى قال لوبون: " أنه لولا ما وصل إليه العرب من نتائج واكتشافات لما استطاع لافوزيه - أبو الكيمياء الحديثة- أن ينتهى إلى اكتشافاته"<sup>(٢)</sup> فقد وصل المسلمون بعلم الكيمياء إلى درجة من الرقى مكنتهم من تطبيق النتائج التى وصلوا إليها على الصناعات المختلفة؛ وهو ما يعرف اليوم بالكيمياء الصناعية<sup>(٣)</sup>.

وكان لعلماء مدن الصغد الفضل فى تطور علم الكيمياء من الأبحاث النظرية إلى التطبيقات العملية، حيث كان تطبيق علم الكيمياء فى الصيدلة من أهم الفوائد التى حققها هؤلاء العلماء<sup>(٤)</sup> حيث كانت أبحاث القلانسى السمرقندى تُعد النواة الرئيسية لعلم حديث ظهر فى أوربا فى نهاية عصر النهضة، وهو علم الكيمياء الصيدلية<sup>(٥)</sup>.

أما فى مجال الأدب فقد تأثرت الآداب الأوربية تأثراً واضحاً بموضوعات الأدب العربى ذلك أن القصص الإسلامى والأخيلة الشعرية قد تركت جميعاً آثارها ببلاد الغرب فى القرون الوسطى وذلك عندما اتجه الأوربيون شطر الأدب العربى المعروف بالخصوبة والإبداع<sup>(٦)</sup>. وفى هذا

---

(١) ابن الجوزى: أعمار الأعيان، ص ٢٠. إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين، ج ٢، ص ١٠٦. عمر رضا كحاله: معجم المؤلفين، مج ٣، ص ١٣٦. قدرى حافظ طوقان: تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك، ص ٤٢٨.

(٢) لوبون: حضارة العرب، ص ٥٠٣.

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور: المدينة الإسلامية وأثرها فى الحضارة الأوربية، ص ١٤٠.

(٤) عبد العزيز عبد الرحمن: تاريخ الطب والصيدلة والكيمياء، ص ٢٦٨. ماهر عبد القادر محمد: دراسات وشخصيات فى تاريخ الطب العربى، ص ٤٦٨.

(٥) القلانسى السمرقندى: اقرباذين القلانسى، ص ١٠.

(٦) سعيد عبد الفتاح عاشور: المدينة الإسلامية وأثرها فى الحضارة الأوربية، ص ٧١.

الصدد يقول جب " أن خير ما أسدته الآداب الإسلامية لآداب أوروبا أنها أثرت بثقافتها وفكرها العربي في شعر العصور الوسطى ونثرها " (١) وقد اهتم الأوروبيون بترجمة قصص الحكماء السبعة أو السنديباد لبهاء الدين محمد بن علي ابن محمد بن الحسن الظهيرى الكاتب السمرقندى (ت ٥٥٦هـ/ ١١٦٠م) (٢) ويعد هذا الكتاب من أهم الكتب التى مثلت صورة حية للأثر الثقافى لأدباء الصغد فى الثقافة الأوربية .

كان للفن الإسلامى تأثير واضح على الغرب الأوربى وفنونه، وبعد ان استقرت الحضارة الإسلامية وتشربت الحضارات الأخرى عبر الفتح والدخول فى الإسلام من قبل حضارات مختلفة بدأت المعانى والأفكار الإسلامية تنقل إلى هذه الحضارات وعلى رأسها الفن الإسلامى عبر التجارة الخارجية التى أضحت أهم وسائل الحضارة الإسلامية.

وشمل الفن الإسلامى الصناعة والزخرفة والعمارة، التى تجلت فيها مهارة المسلمين كصناعة النسيج والجلود والخزف والزجاج والورق . ولعل صناعة الورق تعد من أبرز الأمثلة لإعطائنا صورة واضحة عن مدى تأثير الحضارة الإسلامية على الغرب الأوربى فإذا كانت الطباعة أهم حدث عرفته الإنسانية فى تاريخها الثقافى فإن الوصول إلى هذا الاختراع كان متعذراً ومستحيًا بدون صناعة الورق، وقد انتقلت صناعة الورق من سمرقند إلى أوروبا فى القرن الثانى عشر الميلادى، واستبدلوه محل الرقائق الجلدية الباهظة التكاليف، وهكذا أهدت سمرقند خدمة جليلة لأوروبا وللحضارة الإنسانية، ومن الجدير بالذكر أن انتقال صناعة الورق إلى أوروبا كان أحد أهم أسباب النهضة الحديثة بها (٣).

(١) جب: تراث الإسلام، ص ١٨٩، ١٩٠.

(٢) الراوندى: راحة الصدور، ص ٢٩٤. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد نوم، ص ٩. ذبيح الله صفا: دور غماي از فرهنگ ايرانى، ص ١٢٥.

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع نفسه، ص ١٨٥، ١٨٩.

وخلص القول بطول بنا الأمر لو حاولنا الكلام عن كل واحد من علماء المسلمين الذين أسهموا بنصيب وافر في بناء الحضارة الأوربية، ويحتاج الأمر لذكرهم آلاف المجلدات ولكن نكتفى بذكر هذا القدر الضئيل الذي اشرنا إليه لتلقى شعاعا على الدور الكبير الذى قام به هؤلاء العلماء. وقد أسهمت مدن الصغد بنصيب مباشر فى النهضة الأوربية، ومهما يكن من أمر، فمن الواضح الدور الفعال الذى قام به علماء تلك المدن ويحتاج الأمر لذكرهم العديد من المجلدات.

ولا بد من الإشارة هنا أن تأثير الحضارة الإسلامية على الغرب الأوربي كان تأثيرا عميقا فى شتى نواحي الحياة، ولكن مع الأسف كان النقل الأوربي للحضارة العربية الإسلامية نقلا ناقصا، لأنهم نقلوا الجانب العلمى المادى فقط، وتركوا الجانب الروحى الانسانى، وإذا استمرت الحضارة الأوربية على هذا المنوال فإنها ستقضى على نفسها بنفسها لأنها غرقت فى المادية، بدليل فراغها الروحى. هكذا كانت الحضارة العربية الإسلامية رحمة للبشرية، ولن تكتمل هذه الرحمة إلا إذا اخذ العالم بالجانب الروحى منها ليتم التوازن بين جناحي الحياة.

\*\*\*

## الخاتمة

لاشك أن العلم هو أهم الدعائم التي تبنى عليها حضارات الأمم، وقد جعلت مدن الصغد من العلم الركيزة الأولى لبناء أمجادها، ونالت من ذلك حظا وافرا لم تحظ به أمة من الأمم. حيث قامت مدن الصغد بدور رائد في تطور الحياة الثقافية في الدولة الإسلامية، حيث كانت سمرقند مركزا رئيسيا من مراكز الإشعاع الفكري منذ نشأتها وظلت حتى الغزو المغولي متارا للعلم وموئلا للعلماء على اختلاف تخصصاتهم. وتوسع الإنتاج العلمي في مدن هذا الإقليم وازدهر وأينعت ثماره رغم كل الانتكاسات المذهبية والاضطرابات السياسية. وقد توصل البحث إلى جملة نتائج ظهرت جلية واضحة خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين .

ظهرت نهضة علمية واسعة شملت مدن الصغد خلال فترة البحث تمثلت في عدة أوجه، أبرزها:

\* تنافس الأمراء والحكام والكبراء ورجال العلم على بناء المدارس والأربطة والتي عمت مدن الصغد ولاسيما سمرقند. بجانب انتشار دور الكتب العامة والخاصة واتساع حركة النسخ والتدوين وازدياد عدد المؤلفات والمصنفات، علاوة على المكانة الاجتماعية المرموقة التي تمتع بها العلماء.

\* لعبت المدارس في مدن الصغد على اختلاف أنواعها دورا هاما في تنمية الحركة الفكرية والعلمية في البلدان الإسلامية، وساهمت في إقامة الصرح العلمي الذي تميزت به الحضارة الإسلامية خلال فترة ازدهارها، ولا شك أن تراث المدرسة العلمية والأدبي يبدو واضحا وجليا فيما أنتجه مدرسوها من مصنفات قيمة أسدت إلى الثقافة خدمات جليلة أثرت بها مكنتاتها. وقامت هذه المدارس بتخريج علماء أفاضل انتشروا في العالم

الإسلامى وصاروا ينقلون ما تعلموه فى تلك المدارس، كما ارتقى العديد من خريجي تلك المدارس الوظائف السامية فى مختلف الأمصار الإسلامية .

✽ كما تعد المكتبات بمحتوياتها الدعائم الأساسية التى تشاد عليها صروح العلم والثقافة والمعرفة والينابيع الفياضة التى تغذى تقدم الأمم العلمى والحضارى بماء الحياة والبقاء . وتمتع العلماء خلال فترة الدراسة بسعة إطلاعهم، وتشهد مؤلفاتهم ومصنفاتهم بالنهضة الثقافية التى تجلت آنذاك، وما عمرت المكتبات به من تلك المصنفات فى جميع فروع العلم يردد أصداء علمهم وفصاحتهم .

✽ ومن أهم الظواهر التى تميزت بها البيئة العلمية فى مدن الصغد أنها لم تكن فى عزلة عن البيئات العلمية فى العالم الإسلامى خلال فترة البحث، حيث وفد إلى سمرقند طلاب العلم من شتى أنحاء العالم الإسلامى لطلب العلم منها، كما غادرها عدد قليل من أبنائها إذا ما قارناه بعدد الذين وفدوا إليها، وأن الذين درسوا على علمائها أكثر من الذين درسوا فيها، مما يدل على مكانة سمرقند العلمية، وأنها كانت إحدى المراكز الثقافية المهمة فى العالم الإسلامى خلال فترة الدراسة، وأنه ظهر فيها عدد من كبار العلماء كانوا من ذوى المنزلة العلمية الكبيرة والشهرة الواسعة، فقصدها عدد كبير من العلماء والقراء والمحدثين والفقهاء وطلاب العلم، وتلقوا العلم فى مساجدها ومدارسها، وسمعوا علماءها وقرأوا عليهم مختلف فنون المعرفة وحصلوا على إجازتهم .

✽ إن العلوم التى جذبت طلاب العلم إلى مدن الصغد هى العلوم الأساسية وذلك لأن هذه العلوم كانت قد نالت اهتمام العلماء فى هذه الفترة من جهة، ولتقدم هذه العلوم بسمرقند من جهة أخرى . ومن ثم كان للعلوم الأساسية فى مدن إقليم الصغد فى العصر السلجوقى، من قراءات وتفسير وحديث رثته وأصول نته أنه بالغ فى إكساب الحضارة الإسلامية طابعاً جديداً

أساسه الرغبة المتقدمة فى الحصول على فهم أعمق للعالم كما خلقه الله . أضف إلى ذلك أن علم الكلام وعلم أصول الفقه قد مهدت للأسس العلمية فى الفكر الإسلامى أن تبرز ملامحها، ذلك أن هذه العلوم تعتمد على تحرى الدقة المتناهية والتزاهة التامة والعمق الشديد فى البحث للوصول إلى جذور الحق والمعرفة .

\* فضلا عن ذلك ظهر عدد من كبار الفقهاء فى مدن إقليم الصغد فى العصر السلجوقى وكانت الغالبية العظمى منهم من أتباع المذهب الحنفى، ولعل ذلك لأن الكتب التى يعولون عليها هى كتب محمد بن حسن الشيبانى(ت١٨٩هـ/٤٠٤م) ومن هذه الكتب، المبسوط، والجامع الكبير، والجامع الصغير، وكان أغلبها خاليا من التعليل . ومن ثم كان لبعض هؤلاء الفقهاء أبحاث رائعة، ودراسات جليلة فى هذا الشأن. كما أشارت المصادر إلى وجود عدد كبير من أتباع المذهب الشافعى لكنه لم يصل إلى المذهب الحنفى . وهكذا صار المذهبان الحنفى والشافعى جنباً إلى جنب فى إقليم الصغد فى فترة الدراسة، فى حين أننا لم نجد أية إشارة إلى وجود فقهاء من مذاهب أخرى، وكثرت مصنفات ومؤلفات المذهبين سابقى الذكر ولا شك أنها كانت تمثل ثروة ثقافية لها شأنها فى بناء الفكر الإسلامى .

\* وفى المقابل تدهورت الفلسفة وكسدت سوقها فى مدن إقليم الصغد خلال القرنين (٦، ٥هـ/١١، ١٢م) وذلك لأسباب متعددة منها موقف الفقهاء من دراسة العلوم الإنسانية والتطبيقية بالإضافة إلى موقف الحكام من ذلك، فقد قوبلت الفلسفة وهى على هذه رأس العلوم بتعصب ومقاومة شديدين؛ فكل ألوان البحث والاستدلال واللجوء للعقل لحل المعضلات الدينية يعد فى نظر علماء السنة جسارة كبيرة خارجة عن حد المألوف، بل أكثر من ذلك إلصاق تهمة الكفر والزندقة بالفلاسفة . لهذا ضاع رونق الفلسفة وقيل رواجها، وظهر هذا الاتجاه جليا فى أهداف التعليم عندما حظر تعلم العلوم

الفلسفية فى مدارس مدن إقليم الصغد وسائر بلاد ما وراء النهر وبقية الممالك الإسلامية. واقتصرت الدراسة على العلوم الدينية و اللغوية. وكان ذلك لأن العلم الموروث عن النبى عليه الصلاة والسلام هو وحده فى نظر أئمة الدين والفقهاء العلم النافع، فقد اعتبروا علوم الأوائل علوما مهجورة تنتهى بالكفر والتعطيل، وكان متكلمو السنة والشيعه على السواء يعادون الفلاسفة والحكماء، ويعتبرونهم أعداء للدين منكرين لوحداية الله.

✽ وإذا نظرنا إلى الأوضاع العلمية بصفة عامة لفترة البحث لوجدنا أن مدن الصغد لم تعرف التخصص وتعترف به، بل نجد الأديب كان - على حد قول ابن خلدون - يأخذ من كل شئ بطرف، فيكون شاعرا و فقيها وطيبا ومؤرخا وجغرافيا فى وقت واحد، ويؤلف تبعا لهذا فى كل علم من هذه العلوم، وقد يشتمل كتاب واحد من كتبه على شئ من هذا العلم وشئ من ذلك.

✽ وبقى أن نقول كلمة عن الفنون فى مدن الصغد، وهى التى كانت تحتل الصدارة فى جميع البلاد الإسلامية، بل إنها اكتسبت شهرة عالمية. وخلفت لنا سمرقند على مر العصور الإسلامية ولا سيما خلال فترة البحث مجموعات ضخمة من الفنون من صور وتحف وسجاد وخزف ومنسوجات هذا إلى جانب فن المعمار الذى يتجلى فى المساجد والمدارس والأبنية الإسلامية الأخرى، وهذه كانت تمتاز بزخارفها الجميلة، وبما فيها من نجارة وقيشانى، كما كانت تزين بالجص المحفور أو الطوب المنضود. هكذا حفلت سمرقند بالعلماء الأجلاء فى العلوم والآداب والفنون. وظلت منار إشعاع فكرى وحضارى حتى الغزو المغولى.